سِيمْيَاءِ العَلَامَة اللِّسَانِيَّة في كِتَابِ العَوَاصِمِ منَ القَوَاصِمِ لِأَبِي بَكْرٍ بنِ العَرَبِيّ(٥٤٣هـ): مُقَارَبَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ"

أ.م.د. صباح صابر حسين

أستاذ مساعد العلوم اللغوية

كلية البنات، جامعة عين شمس

sabah.saber@women.asu.edu.eg

doi: 10.21608/jfpsu.2023.184509.1246

سِيمْيَاءِ العَلَامَة اللِّسَانِيَّة في كِتَابِ العَوَاصِمِ منَ القَوَاصِمِ لِأَبِي بَكْرٍ بنِ العَرَبِيّ(٥٤٣هـ): مُقَارَبَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ"

مُسْتَخْلَص

سعى هَذَا البَحْث المُعَنْوَن بـ"**سِيمْيَاءِ العَلَامَة اللِّسَانِيَّة في كِتَابِ العَوَاصِمِ منَ القَوَاصِمِ لِأَبِي بَكْرٍ بنِ العَرَبِيّ(٥٤٣هـ): مُقَارَبَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ**" إلى دِرَاسَة سِيمْيَاءِ العَلَامَة اللِّسَانِيَّة في ضوءِ مُرْتَكَزَات الدَّرْسِ التَّدَاوُلِيّ (المَقَاصِد،الإشاريَّات، الفِعْل التَّأْثِيريّ)، الذي يَتَجَاوَزُ الظَّاهِرَ الدَّلَالِيّ إلى المُحِيطِ الاِسْتِعْمَالِيّ وفَضَاءاتِه الإيحَائِيَّةِ الرَّحْبَةِ العَمِيقَة، وقد نَهَضَ البَحْثُ عَلَى رُؤْيَةٍ تَحْلِيلِيَّة مُغَايِرَة للمُنْجَزَاتِ البَحْثِيَّةِ اللِّسَانِيَّة السِّيمْيَائِيَّة والتَّدَاوُلِيّة السَّابِقَة عليهِ؛ تجعلُ العُنْوَانَ نصًّا قائمًا بذاتهِ ذا أَبْعَادٍ تَعْبِيرِيَّةٍ (صَوْتِيَّة، صَرْفِيَّة، تَرْكِيبِيَّة، دَلَالِيَّة) وأَبْعَاد أُخْرَى تَدَاوُلِيَّةٍ، استقاها منْ عَلَامَاتِهِ اللِّسَانِيَّة، التي اِمْتَدَّت مَقَاصِدُها دَاخِل النَّسَقِ الخِطَابِيّ. كما نظرَ هَذَا البَحْثُ إلى الإشاريَّاتِ منْ زَوايا نظرٍ سِيمْيَائِيَّةٍ تَدَاوُلِيَّةٍ تتَسِمُ بالسَّعَةِ الدَّلَالِيَّة والوَظِيفِيَّة؛ تَتَجَاوَزُ الإِحَالَةَ الزَّمَانيَّة والمَكَانِيَّة والشَّخصيَّة إلى الإِحَالَات الخِطَابِيَّةِ اللُّغَوِيَّة ذات المَقَاصِد المُنَاظِرَة لها دَاخِلَ النَّسَقِ الخِطَابِيّ أو خارجَهُ. وقد جَاءَ البَحْثُ ،بعد المُقَدِّمَة والمَدْخَلِ النظريّ، في ثلاثة مَبَاحِثَ وخاتِمَةٍ. عَلَى النَّحوِ الآتِي:

- المَبْحَثُ الأَوَّلُ: سِيمْيَاءُ العَلَامَةِ اللِّسَانِيَّةِ للعُنْوَانِ.
- المَبْحَثُ الثَّانِي: سِيمْيَاءُ الإشاريَّاتِ.
- المَبْحَثُ الثَّالثُ: سِيمْيَاءُ الفِعْلِ التَّأْثِيريّ.

الكلمات المفتاحية: سيمياء، العلامة اللسانية، كتاب العواصم من القواصم، أبي بكر بن العربي، الإشاريات.

The Semiotics of the Linguistic Sign in Kitāb al-‘Awāṣim min al-Qawāṣim li-Abī Bakr ibn al-‘Arabī (543 AH): A Pragmatic Approach

Dr. Sabah Saber Hussein
Assistant Professor of Linguistics
College of Girls, Ain Shams University

Abstract

This research that is entitled "**The Semiotics of the Linguistic Sign in Kitāb al- ‘Awāṣim min al-Qawāṣim li-Abī Bakr ibn al-‘Arabī (543 AH**): A Pragmatic Approach" sought to study the semiotics of the linguistic sign in the light of the foundations of the deliberative lesson (purposes- signs- act of influence) that goes beyond the semantic phenomenon to the ocean of use and its spacious suggestive spaces deep, and the research was based on an analytical vision different from the achievements of linguistic research semiotic and deliberative preceding it; Other deliberative derived from his linguistic signs whose purposes extended within the discursive system.

This research also looked at signs from deliberative semiotic perspectives characterized by semantic and functional capacity, beyond temporal, spatial and personal references to linguistic discursive references with corresponding intentions inside or outside the discursive system. The research came in an introduction, a theoretical introduction, three chapters and a conclusion. The breakdown is as follows:

- The first topic: the semiotics of the linguistic sign of the title.
- The second topic: the semiotics of signals.
- The third topic: the semiotics of the influential act.

Kewyords: Semiotics, linguisitics sign, Kitāb al- ‘Awāṣim min al-Qawāṣim, Abī Bakr ibn al- ‘Arabī, signals.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على نبينا الهادي الأمين الناطق بلسان عربي مبين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد،،

فإن اللغة في ماهيتها نظام من العلامات (اللغوية وغير اللغوية) توصل الأفكار، وتؤدي وظيفتها التواصلية بين المتكلمين بها.

وقد أولى اللسانيون المحدثون العلامة عناية واهتمامًا بوصفها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني(الاجتماعية والنفسية والدينية وغيرها)؛ فباتت السيمياء التواصلية علمًا قائمًا بذاته يمثل حالة من الوعي النقدي يتجاوز الحدود المعجمية للعلامة متخذًا الوقائع والتجارب الإنسانية مرتكزًا لبؤر مقاصدية لا حدَّ لامتداداتها.

- **إشكالية البحث ودوافعه:**

يعنى هذا البحث بدراسة سيمياء العلامة اللسانية في ضوء مرتكزات الدرس التداولي(المقاصد– الإشاريات– الفعل التأثيري) ذاك الذي يتجاوز الظاهر الدلالي إلى المحيط الاستعمالي وفضاءاته الإيحائية الرحبة العميقة، وقد نهض البحث على رؤية تحليلية مغايرة للمنجزات البحثية اللسانية السيميائية والتداولية السابقة عليه؛ تجعل العنوان نصًّا قائمًا بذاته ذا أبعاد تعبيرية(صوتية– صرفية– تركيبية– دلالية) وأبعاد أخرى تداولية استقاها من علاماته اللسانية التي امتدت مقاصدها داخل النسق الخطابي الذي، بدوره، أمدَّ العنوان بأطر دلالية ارتدت إليه مرة أخرى؛ليشكل ،بمحيطه الاستعمالي، نسقًا خطابيًّا ذا أبعاد متنوعة. كما نظر هذا البحث إلى الإشاريات من زوايا نظر سيميائية تداولية تتسم بالسعة الدلالية والوظيفية؛ تتجاوز الإحالة الزمانية والمكانية والشخصية إلى الإحالات الخطابية اللغوية ذات المقاصد المناظرة لها داخل النسق الخطابي أو خارجه؛ لتصير نوعًا من الإحالة المفسّرة الداعمة للنسق الخطابي الداخلي الذي انماز بإيجازه؛ فآثرت دراسة سيمياء الإشاريات بهذه الرؤية؛بغية إعادة بناء المقاصد الأصلية التي يراها منتج الخطاب (أبو بكر بن العربي ت ٥٤٣هـ) وتوضيح موقفه من قضاياه المطروحة بوصفه عنصرًا مهمًا من عناصر السياق التواصلي وأثر ذلك في متلقيه.

كما أولى البحث شخوص الحدث الكلامي عناية واهتمامًا بوصفهم شركاء في عملية التواصل؛ فارتكز مسعاه البحثي ،في مبحثه الأخير، على سيمياء الفعل التأثيري الذي لم يعره ابن العربي، رحمه الله، عناية بحجم ما أعار الفعل الإنجازي؛ فجاءت مواطن الفعل التأثيري داخل النسق الخطابي معدودة،على الرغم من أنها تمثل مرتكزات دينية تاريخية في تلك الحقبة من التاريخ، ومقتصرة على ردة أفعال شخوصه في القضايا الحجاجية محل العرض؛ فرأينا الفعل التأثيري الإقناعي قد اتخذ أنماطًا وأشكالًا متنوعة تمثلت في أفعال(الانقياد والمبايعة والتصديق والإذعان والتسليم وانشراح الصدر) وغير ذلك ،على نحو ما سيرد في درج البحث.

- **أهمية البحث: تأتي أهمية هذه الدراسة من جوانب عدة:**
- أهمية الموضوع الذي يعالجه كتاب العواصم من القواصم؛ إذ يُعنى بالذبّ عن صحابة رسول الله ﷺ ضد شبهات الضالين المضلين ؛ فهو من الموضوعات الحية المتجددة المصاحبة للإنسانية ما بقي في الأرض مسلمون.
- خلو الساحة البحثية من مثل هذه الموضوعات الدفاعية ذات الردود المسكتة لهؤلاء المتقولين ؛ التي لا تعطي الفرصة لظهور الباطل واستشرائه على أيديهم.
- إلقاء الضوء على مثل هذه الموضوعات التي تدفع عن صحابة رسول الله ما يشوه صورتهم المثلى النقية يعدُّ واجبًا دينيًّا على كل مسلم ؛لأنه يمثل أصلا من أصول العقيدة ينبغي لكل ذي قلم منصف أن يكتب فيه أو عنه.
- أهمية العلامة اللسانية في كتاب العواصم من القواصم– الذي اتسم بالإيجاز الشديد ، ودورها في استبطان المعاني؛ فقد وظفها ابن العربي توظيفًا مقاصديًّا مكثفًا فاحتملت معاني متعددة .
- الربط بين العلامات اللسانية ومرتكزات الدرس التداولي.
- **التساؤلات البحثية:**

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات البحثية، ومنها:

- هل أظهرت العلامة اللسانية المستبطنة للمعنى، العنوان نصًّا قائمًا بذاته له أبعاده التعبيرية والتداولية؟

- كيف تمكن منتج الخطاب من إبراز علاقة العلامات اللسانية بمستعمليها، وكيف تمكن من إظهار مواقفه حيال القضايا المعروضة في كتابه؟
- هل كشفت العلامات اللسانية عن تأثير الأفعال المنجزة حجاجيًّا في شخوص الحدث الكلامي؟
- هل أدت العلامة اللسانية في هذا الخطاب الدفاعي وظيفة تواصلية فحسب أم امتزجت فيه الوظيفتان التواصلية والتأثيرية في آن واحد؟
- هل كان للآثار العلمية التي خلفها أبو بكر بن العربي دور في ثراء حافظته وسعتها ودرايته الشرعية والتاريخية والاجتماعية مكنته من الرد على هؤلاء المدعين المضلين؟
- **منهج البحث:**

اقتضت طبيعة الدراسة انتهاج المنهج الوصفي التحليلي الذي يُعنى بوصف الظاهرة المدروسة وتحليلها وفقًا لمعطيات الحقل السيميائي التداولي.

- **الإجراءات البحثية:**
- التأكد من خلو المكتبة اللغوية من دراسة سيميائية تداولية للعلامة اللسانية في كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي؛ وذلك بالرجوع إلى مواقع بحثية متنوعة.
- الاقتصار على عدد محدود من النماذج التطبيقية التي تمثل الظاهرة المدروسة؛ تجنبًا لتكرار التحليل، ثم تحليلها وفقًا لمرتكزات الدرس السيميائي التداولي.
- قصر غاية التحليل على العلامات اللسانية التي يتضمنها النسق الداخلي للخطاب مع الإحالة إلى مرجعيتها السياقية الخارجية ومقاصدها المناظرة سواء أكانت اجتماعية أو نفسية أو غير ذلك.
- الالتزام بأن الكشف عن المقاصد التداولية ليس ممارسة حرة وإنما هو مقيَّد بالعلامة اللسانية واستكناة أغوارها.

- الالتزام بتوثيق الأحاديث النبوية الشريفة من كتب الأحايث الصحيحة، مثل(صحيح البخاري– صحيح مسلم– مسند أحمد بن حنبل– سنن الترمذي– سنن البيهقي– سنن ابن ماجة)
- توثيق الأعلام غير المشهورة من كتب الطبقات وكتب سير الأعلام.
- **خطة البحث:**

نهضت معالجة إشكالية هذا البحث على مقدمة ومدخل نظري، وثلاثة مباحث وخاتمة.

- المقدمة، وفيها عرضٌ لإشكالية البحث ودوافعه وأهميته وتساؤلاته البحثية ومنهجه البحثي وإجراءاته ،وخطته.
- المدخل النظري يُعرض فيه الجهاز المفاهيمي لكلمات البحث المفتاحية(السيميائية مقاربة مفاهيمية– السيمياء التداولية مرتكزًا وعلاقة– كتاب العواصم من القواصم والداعي إلى تأليفه– أبو بكر بن العربي وآثاره العلمية)
- المبحث الأول: سيمياء العلامة اللسانية للعنوان.
- المبحث الثاني: سيمياء الإشاريات.
- المبحث الثالث: سيمياء الفعل التأثيري.
- الخاتمة:وفيها بيان بما أسفر عنه البحث من نتائج وتوصيات.
- قائمة المصادر والمراجع.

مدخل نظري: الجهاز المفاهيمي للدراسة

- السيميائية مقاربة مفاهيمية (لغة وامتدادًا واصطلاحًا)

يأتي هذا المصطلح على هيئة المصدر الصناعي من الجذر(وسم) الذي دارت تحديداته اللغوية في فلك الدلالة على(العلامة) حسية كانت أو معنوية ؛ فيقول ابن فارس(٣٩٥هـ):" الواو والسين والميم: أصلٌ واحد يدلُّ على أثرٍ ومَعْلم. ووسَمْتُ الشيءَ وسْمًا: أثَّرْتُ فيه بِسِمَةٍ. والوَسْميُّ: أولُ المطر؛ لأنه يَسِمُ الأرض بالنبات...وسمَّى موسم الحاجّ موسمًا؛لأنه مَعْلم يجتمع إليه النّاس. وفلانٌ موسومٌ بالخير، وفلانة ذات ميسم، إذا كان عليها أثر الجمال([1])" كما ورد اشتقاقها في القرآن الكريم بمعنى(العلامة) كذلك سواء أكانت في الملامح أم في الأفعال والسلوك، قال تعالى: " **تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ** "[2]،قال تعالى: " **وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ**"[3]، قال تعالى: " **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**"[4]، قال تعالى: " **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**"[5] ، قال تعالى: " **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ**"[6] وجاء في تفسير الطبري: "قال أبو جعفر: تعرفهم، يا محمد، بسيماهم، يعني: بعلامتهم وآثارهم...، هذه لغة قريش، ومن العرب من يقول بسيمائهم؛ فيمدها وأما ثقيف وبعض أسدٍ فإنهم يقولون:" بسيميائهم"([7]) ومنه قول الشاعر([8]) (من الطويل)

غُلامٌ رَماهُ اللَهُ بِالخَيرِ يافِعاً لَهُ سِيمياءٌ لا تَشُقُّ عَلى البَصَرْ

كَأَنَّ الثُرَيّا عُلِّقَت في جَبينِهِ وَفي حَدِّهِ الشِّعرى وَفي جيدِهِ القَمَرْ

---

[1]- ابن فارس- مقاييس اللغة- ١١١/٦- مادة (وسم)

[2]البقرة: ٢٧٣.

[3]آل عمران: ١٤.

[4]الفتح: ٢٩.

[5]الحجر: ٧٥.

[6]الرحمن: ٤١.

[7]- الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن – دار التربية والتوزيع – مكة المكرمة ٤٦/٣

[8]- هو ابن عنقاء الفزاري ، وعنقاء أمه ، وقد اختلف في اسمه ، فقال القالي في أماليه ١ : ٢٣٧" : أسيد "، وقال المرزباني في معجم الشعراء(" : قيس بن بجرة) "بالجيم (، أو"عبد قيس بن بجرة "،. وذكر المرصفي في شرح الكامل ١ : ١٠٨ أنه أسيد بن ثعلبة ابن عمرو . وابن عنقاء ، عاش في الجاهلية دهرًا ، وأدرك الإسلام كبيرًا ، وأسلم.ينظرأيضا: ابن منظور- لسان العرب-٣١٢/١٢- مادة(سوم).

نستخلص من الشواهد السابقة أن الجذر اللغوي(وسم)، وما اشتق منه يحمل الدلالة ذاتها التي يحملها مصطلح(السيميائية) الحديث؛ إذ يدلان على العلامة سواء أكانت لغوية أم غير لغوية.

وقد فرَّق أبو هلال العسكري بين العلامة والدلالة؛ قائلا:" الدلالة على الشيء ما يمكّن كل ناظر فيه أن يستدل بها عليه، كالعالَم لمَّا كان دلالة على الخالق كان دالًا عليه لكل مستدلّ به، وعلاقة الشيء ما يُعرف به المُعلَّم له ، ومن شاركه في معرفته دون كلّ واحد كالحجر تجعله علامة لدفين تدفنه؛ فيكون دلالة لك دون غيرك ولا يمكن غيرك أن يستدل به عليه إلا إذا وافقته على ذلك، كالتصفيق تجعله علامة لمجيء زيد؛ فلا يكون ذلك دلالة إلا لمن يوافقك عليه، ثم يجوز أن تزيل علامة الشيء بينك وبين صاحبك؛ فتخرج من أن تكون علامة له، ولا يجوز أن تخرج الدلالة على الشيء من أن تكون دلالة عليه؛ فالعلامة تكون بالوضع والدلالة بالاقتضاء([1])."

لقد أظهر أبو هلال العسكري في نصه السابق دراية ووعيًّا بحقيقة المجالين: الإجرائي والوضعي للدلالة والعلامة؛ إذ جعل الدلالة تستمد شرعيتها وبقاءها من الوضع والاصطلاح والإجماع،بينما لا يشترط ذلك في العلامة كما لا يشترط فيها كثرة الأفراد الذين يعلمونها ؛فالعلامة فعل اتفاقي بينما الدلالة فعل اقتضائي.

تعد محاولات(دي سوسير)، و(تشارلز بيرس) أولى المحاولات التأسيسية في مجال البحث اللساني السيميائي على وجه التحديد؛ فقد ركز الأول على الوظيفة الاجتماعية للعلامة، بينما اتخذ الثاني الوظيفة المنطقية للعلامة منطلقًا للتأويل([2]).

وقد نجم عن تنوع نظرتيهما بزوغ علم جديد يدعى (السيميائية)أو(السيميولوجيا) وهو العلم الذي يُعنى بدراسة العلامة وكل ما يتعلق بها([3]).

فالعلامة لدى(دي سوسير) ،التي تقرن بين الدال الصوتي، والمدلول المعنوي ، ولا يمكن لأحدهما أن يكون بمعزل عن الآخر؛ لها صفتان([1]):

---

[1]- العسكري،أبو هلال- الفروق في اللغة- تح: جمال عبد الغني مدغمش- مؤسسة الرسالة- ط١- بيروت ٢٠٠٢م – ص٩٥

[2]- جيرو، بيار- علم الإشارة(السيميولوجيا)- تر: منذر عياشي- ط١- دار طلاس- دمشق١٩٨٨م- ص٢٥

[3]- زوست،آرت فان- التأويل وعلم الرموز- تر:أنطوان أبو زيد- مركز الإنماء القومي- مجلة العرب والفكر العالمي- ع٥- بيروت ١٩٨٩م- ص٥٢

- أولاهما:علاقة اعتباطية بين الدال والمدلول؛أي إنه لا يوجد صلة طبيعية تجمع الدال بمدلوله؛ فلفظ(أخت) لا يوجد بين أصواته(أ،خ،ت) صلة تجمعه بالمعنى أو المدلول، وقد استثنى (دي سوسير) من ذلك:

أ- الرمز الذي من سماته أن لا يكون اعتباطيًّا على نحو كلي، فرمز العدالة(الميزان) لا يمكن استبداله بأي رمز آخر.

ب- الألفاظ المحاكية للصوت، مثل: خرير الماء، ومواء القط.

- أخراهما: الطبيعية البصرية(الخطية) للعلامة؛ فالعلامات السمعية لها بعد واحد فقط وهو البعد الزمني، وعناصر الدال السمعي يعقب بعضها بعضا؛ فهي تؤلف سلسلة متعاقبة؛ في حين تتعرض الدوال البصرية،كإشارات الملاحة وغيرها، لتعقيدات؛ إذ نلحظ تلاحقا خطيًّا في المسار الزمني عن طريق تعاقب العلامات الكتابية في خطية مطردة.

غير أن(دي سوسير) قد أغفل الظروف المحيطة بالعلامة وإحالتها إلى العالم الخارجي، وهو أمر مهم لدى المهتمين بعلم العلامات.واستدرك(بيرس) ما أغفله (دي سوسير) فجاءت نظرته أشمل؛ فالعلامة لديه ذات علاقة ثلاثية تتكون من المصوّرة وتقابل(الدال) عند (دي سوسير) ، والمفسّرة وتقابل(المدلول) عند (دي سوسير)، ثم الموضوع- ذاك الذي أغفله سوسير-؛ فموضوع السيمياء لدى(بيرس) ليس هو العلامة في ذاتها، وإنما اشتغالها وحركيتها؛ لذا رأى (أمبرتو إيكو) أن مثلث (بيرس) هو المثلث الذي لا يصلح إلا باعتباره منطقًا لحفر أعمق في مفهوم الدلالة وفي طبيعة العلاقة بين العلامة ومدلولها([٢]).

غير أن (بنفست) قد أخذ على (بيرس) :أنه جعل العلامة أساسًا للعالم بأسره، وذلك في مقال له بعنوان(سيميولوجيا اللغة)؛ يقول:" إن الصعوبة التي تواجه من يحاول تطبيق مفاهيم بيرس...، هي أن بيرس يضع العلامة أساسًا للعالم بأسره؛ إذ إن العلامة هي نقطة الانطلاق الذي ينبني عليها تعريف كل عنصر على حدة وهي

[١]- دي سوسير، فرناند- محاضرات في علم اللسان العام- تر: عبد القادر قنيني- ومراجعة: أحمد جيبي- الدار البيضاء ١٩٨٧م- ص٩٠

[٢]- إيكو، أمبرتو- السيمياء وفلسفة اللغة- تر: أحمد الصمعي- ط١- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت ٢٠٠٥م- ص١٨٧

أيضًا المبدأ الذي يحكم تفسير مجموعات العناصر، سواء أكانت هذه المجموعات مجردة أم ملموسة، إنَّ الإنسان فيما يراه بيرس في كليته علامة وفكره أيضا علامة وكذلك مشاعره، ولكن هذه العلامات في نهاية المطاف لا تحيل إلا على علامات أخرى؛ فكيف يمكن أن تحيل على شيء ليس في حد ذاته علامة؟ إن المعمار السيميولجي الذي أنشأه بيرس يتجاوز تعريفه؛ فلابد أن يقبل النظام الاختلاف بين العلامة والمدلول عليه، حتى لا يلغي مفهوم العلامة نفسه في عملية تكاثر تمتد إلى ما لا نهاية.([1])"

نخلص من هذه المحاولات التأسيسية والرؤى النقدية أن أصحابها يحاولون التقعيد لهذا التوجه اللغوي السيميائي وذلك بوصفه علمًا يعنى باستكشاف بواطن المعاني الكامنة في العلامة اللسانية وهو أمر مهم في الدراسات اللغوية الحديثة ؛إذ يعمل على إثراء الإنجاز القولي بمعانٍ متعددة كما أن تناوله من زوايا نظر جديدة يخدم النص، ويسهم في تجديد الوعي النقدي لدى المتلقي.

فالسيميائيات تعدُّ مجالا واسع الآفاق يسمح للباحثين كافة بتناول قضايا المعنى من زوايا متعددة ، وقد حدَّد الدكتور سعيد بنكراد خصائص للسيميائية، تظهر مدلولها الاصطلاحي وتدعمه، وذلك فيما يأتي:

- "نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداداته ومن حيث مردوديته وأساليبه التحليلية. كما أن موضوعها غير محدد في مجال بعينه؛ فالسيميائيات تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني. إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءًا من الانفعالات البسيطة ومرورًا بالطقوس الاجتماعية،وانتهاءً بالأنساق الإيدلوجية الكبرى.([2])"
- " فالسيميائيات ليست تيارًا واحدًا منسجمًا، وليست فكرة معزولة كما أنها ليست نظرية جاهزة محددة من خلال مفاهيم موحَّدة وموحِّدة إنها على العكس من ذلك حالة وعي معرفي عُرف بامتداداته في حقول معرفية متعددة.([3])"

[1]- بنفيست،إميل- أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة- تر:سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد- دار إلياس العصرية- القاهرة١٩٨٦م-ص١٩

[2]- بنكراد، سعيد- السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها- ط٣- دار الحوار – دمشق٢٠١٢م- ص١٥

[3]- بنكراد، سعيد- السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها - ص١٢ أيضا

- "هي كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة. إنها تدريب للعين على التقاط الضمني والمتوارى والمتمنع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق النصية أو التعبير عن مكونات المتن([1])."
- ويقول أيضًا:" فالنصوص كل النصوص كيفما كانت مواد تعبيرها؛ يجب النظر إليها باعتبارها إجراءً دلاليًا لا تجميعًا لعلامات متنافرة. والسيميائيات صريحة في هذا المجال؛ فهي تسلم بوحدة الظاهرة الدلالية؛ كيفما كانت لغتها وكيفما كان شكل تجليها.([2])"

فالعلامة إذن، اللغوية وغير اللغوية، قد حظيت بعناية الباحثين اللغويين، وتمحورت حولها بحوثهم اللسانية وإن تعددت مصطلحاتها؛ فقد وصفت بأنها: الإشارة أو الدال أو المصورة أو الرمز...، وغير ذلك كما وردت في التراث بمسمى الآية والسمة والدلالة.

كما تعددت مصطلحاتها الدالة عليها تعددت مفاهيمها وإن لم تخرج جميعها عن كونها استكشاف واعٍ لدلالتها العميقة ؛لذا نخلص مما سبق بتعريف مجمل للسيميائية يراها:قراءة واعية ناقدة للعلامة اللسانية بهيئاتها البنائية المتنوعة، تمكّن القارىء من استكشاف المعاني الضمنية لها والعلاقات الدلالية العميقة في ظل المحيط الخارجي للعلامة بتمظهراته النفسية والاجتماعية كافة.

- السيميائيات التداولية: مرتكزًا وعلاقة.

مما تجدر الإشارة إليه أن التداولية تعد منعطفًا لسانيًّا بارزًا في البحث اللغوي الحديث؛ فقد نظرت إلى العلامة اللسانية من منظورها التواصلي الاجتماعي، وأثر ذلك في المتلقي؛ فكان من نتائج الدراسات السيميولوجية تلك العلاقة القائمة على الربط بين العلامة اللسانية والحقل التداولي؛ إذ غدت السيميولوجيا التي تعنى بالعلامات وأنظمتها التعبيرية؛جزءًا من اللسانيات التداولية التي تعنى بدراسة علاقة العلامة اللغوية بمستعمليها ، ويصفها(شارل موريس): بأنها جزء من السيميائية يعالج علاقة العلامات بمستعملي هذه

[1]- بنكراد، سعيد- السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها- ص١٥

[2]- بنكراد، سعيد- السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها- ص١٠-١١

العلامات([1]).كما تسهم العناصر السياقية التداولية في تدارك الجانب الإنجازي للعلامة اللسانية، وتأثيره في المتلقي، وقدرته التواصلية بين طرفي الحدث الكلامي. وقد أجملها بعضهم فيما يأتي([2]):

-مفهوم الفعل:L'Acte أي إن الكلام هو فعل واقعي من جهة كونه تدشينًا لمعنى يؤثر في المتلقي.

- مفهوم السياق:context المقصود به الوضعية الملموسة التي تصاحب إنتاج أفعال اللغة المتعلقة بالمكان والزمان وهوية المتكلمين.

- مفهوم الإنجاز:performance : إنجاز الأفعال في السياق إما بتحقيق القدرات اللسانية للمتكلمين، وإما بتحقيق القدرة التواصلية بين المتكلمين.

وقد عرَّف بعضهم التداولية وفقًا لمعطيات السياق والاستعمال والعلامة؛ فيقول فرانسواز أرمينكو:" التداولية علم الاستعمال اللساني ضمن السياق، وبتوسع أكثر هي استعمال العلامات ضمن السياق([3])."

كما ذكر جيف فيرتشون تعريفًا للتداولية لا يبعد كثيرًا عما ذكره غيره مراعيًا فيه الأبعاد النفسية والاجتماعية للعلامة؛ فيقول:"إننا نعني بالتداولية علم علاقة العلامة بمؤوليها؛ فإنه من التمييز الدقيق للتداولية أن نقول إنها تتعامل مع الجوانب الحيوية لعلم العلامات، وهذا يعني كل الظواهر النفسية والاجتماعية التي تظهر في توظيف العلامات([4])"

- **كتاب العواصم من القواصم([5])، والداعي إلى تأليفه:**

يمثل العينة التطبيقية التي استقى منها البحث نماذجه التحليلية وهو مؤلف عظيم قدره ومبتغاه للإمام الحجة القاضي أبي بكر بن العربي(ت٥٤٣هـ)،ويعد

---

[1]- بلخير،عمر- تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، مقالات في التداولية والخطاب- تيزي وزو- دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر ٢٠١٣م- ص١٦٣

[2]- -dr France-paris-1985-p.8 -Armeng uaud: La pragmatique , Presse universitaire-
نقلا عن: بلقندوز،هواري- مدخل إلى السيميائيات التداولية- إسهامات بيرس وشارل موريس(أعمال الملتقى الثالث" السيمياء والنص الأدبي- جامعة مستغانم ٢٠٠٤م- ص١٥

[3]- علوش،سعيد- المقاربة التداولية- مركز الإنماء القومي- د.ت- ص٨٠

[4]- بلبع،عيد- التداولية إشكالية المفاهيم بين السياقين الغربي والعربي- مجلة سياقات-ع(١) -ط١- القاهرة ٢٠٠٧م – ص٣٦.

[5]-ابن العربي(الإمام القاضي أبو بكر بن العربي المالكي ت ٥٤٣هـ)- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ- تحقيق: الشيخ محب الدين الخطيب- علق عليه: محمود مهدي الاستانبولي- مركز السنة للبحث العلمي- ط٦ – مكتبة السنة لنشر العلم- القاهرة١٤١٢هـ

صيحة من صيحات الحق ترمي إلى إيقاظ الشباب المسلم، وإنباههم إلى دسائس هؤلاء الضالين المضلين ، ومقاصدهم من وراء ذلك .وقد اعتمد المؤلف منهجًا نقديًّا صارمًا يجادل فيه أصحاب الشائعات والافتراءات ضد صحابة رسول الله ﷺ ، وتابعيهم بإحسان،وذلك في إحدى الفترات الخطيرة في التاريخ الإسلامي.

نشره الشيخ عبد الحميد بن باديس ١٣٤٧هـ في جزئين ،أخذ منه الشيخ محب الدين الخطيب قسمًا من الجزء الثاني منه ابتداءً من صفحة(٩٨) إلى صفحة(١٩٣) وسمَّاه (العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ وذلك للمرة الأولى عام ١٣٧١هـ ثم توالت الطبعات بعد ذلك.

ونشر الأستاذ محمود مهدي الاستانبولي طبعة الشيخ محب الدين الخطيب نفسها محتفظًا بتعليقات الشيخ الخطيب كاملة إلا أنه زاد عليه في التعليق فقط في إثبات بعض التحقيقات الحديثية والتاريخية([1]).

تصدى ابن العربي في كتابه هذا بحزم شديد لأهل الباطل والضلالات ؛بغية تصويب مآل ضعاف العقيدة أو كل من ينزلق وراء هذه الشبهات أوتلقى في نفسه قبولا وإقناعًا؛ ومردُّ ذلك إلى قدرة مؤلفه على محاججة أهل الباطل ووعيه بالأدلة والبراهين والنقول الصادقة خبرًا وسندًا ؛"كل ما عزاه أعداء الصحابة رضوان الله عليهم أورده القاضي أبو بكر بن العربي وسمَّاه(قواصم) وأجاب عن كل قاصمة بعاصمة من الحق عن أصدق المصادر، وأصحها بعد كتاب الله ومن ذلك تألف كتاب (العواصم من القواصم) الذي علَّقنا عليه بما لم يترك؛ فارجع إليه لتطهير قلبك من الغل على الذين آمنوا من تلاميذ محمد ﷺ وخاصة أحبابه فإن أعداءهم شحنوا الكتب بالأكاذيب التي انتشرت وأفسدت قلوب بعض المسلمين على سلفهم الأول إلى أن أظهر الله ،سبحانه، الحق بكتاب(العواصم من القواصم) ؛فانتفع به الكثيرون ولله الحمد والمنة([2]).

فقد أدرك الإمام ابن العربي "أن أئمة الإسلام وعلماءه لهم مكانة عليا في قلب المؤمن المسترشد طالب الحق والهدى؛ إذ بهم يبصر الناس طريق الحق

[1] - مقدمة كتاب العواصم من القواصم- ص١٣

[2] - هامش كتاب العواصم من القواصم – ص٢٦٨

ويسيرون على الجادة؛ فينالوا رضى الله في الدنيا وجنته في الآخرة([1])." فأخذ على عاتقه الدفاع عنهم، رضوان الله عليهم أجمعين،وذلك بالرد على هذه الافتراءات والضلالات وأسماها(القواصم) ويقصد بها: الشبهات القوية التي من شأنها هدم العقيدة وزعزعة النفوس والتأثير فيها بالعواصم منها التي تمنع المسلمين من الانسياق وراء هؤلاء الضالين المضلين ؛متحريًّا في ذلك صحيح الأخبار والآثار؛ فجاء كتابه مشتملًا على ست قواصم ، وكل منها متلوة بعاصمة على النحو المجمل الآتي:

- **القاصمة الأولى: وفاة النبي ﷺ ووقعها في نفوس صحابته**

- **استخفاء علي في بيت فاطمة**
- **سكوت عثمان وإهجار عمر**
- **حوار العباس وعلي في مرضه ﷺ.**
- **اضطراب أمر الأنصار**
- **موقف جيش أسامة**

- **العاصمة:**

- **تدارك الله الإسلام والأنام بأبي بكر الصديق.**
- **رباطة جأش أبي بكر، ووداعه النبي، وخطبته في المسجد.**
- **موقفه، رضي الله عنه، في سقيفة بني ساعدة.**
- **خلافة الصديق واستخلاف عمر**
- **موقف الصديق من مانعي الزكاة**
- **تنظيمه للجيش، واختياره القواد والعمال**
- **حديث لا نورث ما تركنا صدقة**
- **حديث لا يدفن نبي إلا حيث يموت**
- **استخلاف عمر وجعله الأمر شورى في اختيار الخليفة بعده.**
- **خلافة عثمان ودعاة الفتنة**

[1]- ابن تيمية(شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ت٧٢٨هـ)- رفع الملام عن الأئمة الأعلام- تحقيق: عبد الرحمن بن أحمد الجميزي- ط١- دار العاصمة- الرياض ١٤٣٤هـ- ص٨

- **سجايا عثمان ومكانته العالية في الإسلام**
- **وصف إجمالي لدعاة الفتنة الذين قاموا على عثمان**
  - **القاصمة الثانية: المظالم والمناكير التي ادَّعوها على عثمان**
- **العاصمة: بيان بطلان هذه الدعاوى سندًا ومتنًا**
  - **القاصمة الثالثة:اجتماع أصحاب مكة وخروجهم إلى البصرة.**
- **العاصمة:مجيء أصحاب الجمل إلى البصرة لتأليف الكلمة وللتوصل بذلك إلى إقامة الحد على قتلة عثمان.**
- **الاجتماع في البصرة وكتابة الكتاب بين عثمان بن حنيف وأصحاب الجمل بالكف عن القتال ووصول علي،رضي الله عنه، إلى البصرة،ووقوع التفاهم بينه وبين أصحاب الجمل.**
  - **القاصمة الرابعة: حرب صفين، ودعوى الفريقين، وما اخترع في ذلك من أكاذيب.**
- **العاصمة:الطائفتان كانتا على حق، والبغاة على عثمان ليسوا من إحداهما.**
  - **القاصمة الخامسة:العراقيون جاءوا بأبي موسى من عزلته؛ لأنه كان ناصحًا بالدعوة إلى السلم ومعاوية لم يكن يومئذٍ خليفة حتى يخلعه عمرو أو يثبته.**
- **العاصمة: رواية الدارقطني خبر التحكيم فضحت الأكاذيب المفتراة.**
  - **القاصمة السادسة:احتجاج الشيعة بحديث(اللهم وال من والاه)، وافتراؤهم على أبي بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأهل الشام.**
- **العاصمة: يكفيك من شر سماعه.**
- **تحذير المسلمين من أهواء المفسرين والمؤرخين منهم وكذا أهل الأدب.**
- **أبو بكر بن العربي(مؤلف كتاب العواصم من القواصم)**

محمد بن عبد الله بن أحمد العربي المعافري المكني بأبي بكر،من أهل إشبيلية ومن قضاتها،ولد ليلة الخميس لثمانٍ بقين من شعبان سنة ٤٦٨هـ ،ورحل إلى المشرق ، والحجاز ، ومصر، ثم عاد إلى الأندلس سنة ٤٩٣هـ كان من أهل التفنن في العلوم،

متقدمًا في المعارف كلها، متكلمًا في أنواعها، حريصًا على نشرها. استقضى بمدينة إشبيلية؛ فقام بها أجمل قيام ([1]).

" وكان من أهل السرابة في الحق، والشدة، والقوة على الظالمين، والرفق بالمساكين. ثم صُرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثّه...، وقيَّد الحديث، وضبط ما روى، واتسع في الرواية، وتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام على أئمة هذا الشأن. وعاد إلى بغداد بعد دخولها، وانصرف إلى مصر؛ فأقام بالإسكندرية؛ فمات أبوه بها،أول سنة ٤٩٣هـ ثم انصرف إلى الأندلس؛ فسكن بلدة إشبيلية؛ وشوور فيه، وسمع، ودرس الفقه والأصول، وجلس للوعظ والتفسير، وصنَّف في غير فنٍ تصانيف مليحة، حسنة، مفيدة، وولي القضا.مدَّة...التزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله؛ فأحسن الصبر على ذلك كله. ثم صُرف من القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثّه. وكان فصيحًا، حافظًا، أديبًا، شاعرًا، كثير المِلح، مليح المجلس...، وروى عنه من علماء المائة الخامسة: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، وأبو جعفر بن الباذش...، أدركته منيته بطريقه على مقربة من مدينة فاس ؛ فدُفن بها عام٥٤٣هـ.([2])"

- **<u>آثاره العلمية:</u>**

قضى أبو بكر بن العربي أربعين سنة في الإملاء والتدريس؛ فخلَّف وراءه عددا كبيرًا من المصنفات العلمية في فروع علمية متنوعة حصرها محقق كتاب العواصم من القواصم بشيء من التفصيل([3]).وسأجملها على النحو الآتي:

- **خمسة مصنفات في علوم القرآن:**
- أحكام القرآن – أنوار الفجر – قانون التأويل – الناسخ والمنسوخ – المقتبس في القراءات.
- **أحد عشر مصنفًا في علوم الحديث:**
- عارضة الأحوذي في شرح الترمذي– شرح الحديث– كتاب اليزين في الصحيحين– مختصر اليزين– الأحاديث المسلسلات– الأحاديث السباعيات–

[1]- النباهي المالقي(أبو الحسن بن عبد الله ت٧٧٦هـ)- تاريخ قضاة الأندلس- تح: لجنة إحياء التراث العربي- ط٥- دار الآفاق الجديدة- بيروت١٩٨٣م- ص١٠٥(بتصرف)

[2]- النباهي- تاريخ قضاة الأندلس- ص١٠٦-١٠٧

[3]- ذكرها محقق كتاب العواصم من القواصم بشيء من التفصيل، ينظر الصفحات من ١٧ إلى ٢٨

شرح حديث أم زرع– شرح حديث الإفك– شرح حديث جابر في الشفاعة – الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب – كتاب مصافحة البخاري ومسلم .

- كما صنَّف في مشكل القرآن والحديث مؤلفًا واحدًا هو كتاب(المشكلين) ذكره في أحكام القرآن.
- **سبعة مصنفات في أصول الدين أو علم الكلام،** وهي: العواصم من القواصم – الدواهي والنواهي– رسالة الغرة– الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا– كتاب المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنة، وذوي البدع والإلحاد– المقسط في شرح المتوسط – نزهة المناظر وتحفة الخواطر.
- **خمسة مصنفات في الزهد:**
- سراج المريدين في سبيل المهتدين– سراج المهتدين – مراقي الزلفى – العقد الأكبر للقلب الأصغر– تفضيل التفضيل بين التحميد والتهليل.
- مصنفان في الجدل والخلافات:
- كتاب الكافي في أن لا دليل على النافي – الإنصاف في مسائل الخلاف.
- كما صنف **رسالتين** في اللغة والنحو: ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين، واللغويين– والأخرى سمَّاها: في الرد على ابن السيد البطليوسي(ت٥٢١هـ) في شرحه على ديوان أبي العلاء المعري المسمى بلزوم ما لا يلزم.
- **مصنفان في التاريخ:**
- ترتيب الرحلة للترغيب في الملة.
- أعيان الأعيان.

وذكر أبو بكر بن العربي أن له كتابًا سمَّاه(الغوص المحمود) تحدث فيه عن مسألة(الرؤيا) وبين اسم كل جزء من أجزاء هذا الكتاب([1]).

[1]- ينظر مقدمة كتاب العواصم من القواصم- ص٢٧

فهذا الزخم العلمي المتنوع الذي تمتع به أبو بكر بن العربي، رحمه الله، كان له كبير أثر في ذخيرته العلمية الثرية التي مكنته من الاستدلال والبرهنة بصحيح الأخبار والآثار على شبهات هؤلاء المدعين المفسدين المضللين تلك التي يرمون من ورائها إلى زعزعة ثقة المسلمين في شريعتهم الغراء، وفي حامليها وناقليها المبلغين عن نبيهم ﷺ؛ فجاء مصنفه(العواصم من القواصم) على الرغم من صغر حجمه، صيحة حق واجبة في وجه باطل أطلَّ برأسه؛ ليطعن في صحابة رسول الله ﷺ ، ويشوه صورتهم؛ فذبَّ عنهم بهذا الخطاب اللغوي الدفاعي المعضد بالأدلة النقلية والعقلية وصحيح الأخبار والآثار.

المبحث الأول:

سيمياء العلامة اللسانية للعنوان(العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ)

يمنح العنوان متلقيه نورًا يستضيء به قبل ولوجه في عالم النص ؛ إذ يعد أول مؤشر حواري مع متلقي النص يسفر عن قبول المتلقي واستمرار تلقيه لهذا العمل أو عدمه؛ فالوظيفة الإعلامية للعنوان تمكن المتلقي من تحديد موقفه من استمرار تلقي العمل كاملا أو رفضه والصدود عنه؛ الأمر الذي دفع المعنيون بالعنونة ودراسة سيمياء العنوان إلى وضع شروط مهمة لصوغ العنوان تجعله جزءًا من المبنى الإستراتيجي للنص وفي الآن نفسه يحمل الدلالة الكلية للنص بصورة موجزة معبرة ومثيرة لفضول المتلقي؛ مما يدفعه إلى إتمام حواره مع النص.

ونص القاضي ابن العربي–رحمه الله– ليس نصًّا أدبيًّا إنما هو نص دفاعي إقناعي محدود بحقبة زمانية يستهدف تلك الفئة المتقولة على صحابة رسول الله ماليس فيهم تلك التي افترت عليهم كذبا وألصقت بهم أقاويل مضللة ومشوهة لصورتهم النقية.

أولا: النسيج البنائي للعنوان وأبعاده التداولية.

- **البعد التعبيري ودلالاته:**

يمثل عنوان هذا النص جزءًا من نسيج بنائه، كما يمثل إجمالا لتفصيلاته الدلالية في درج متن ذلك الخطاب الدفاعي.

فالعلامتان اللسانيتان اللتان عليهما المدار الدلالي للنص كله، كلمتا(العواصم والقواصم) قد تخيرهما المؤلف بعناية شديدة وبوعي ثقافي وديني واجتماعي وأخلاقي جعل نصه متسمًا بمصداقيته وقدرته العلمية على دحض آراء أولئك المشوهين لصورة صحابة رسول الله– رضي الله عنهم أجمعين– وجاءت آراؤه مدعمة بموثوق الآثار وصحيح الأخبار.

ولعل أول ما يلفت نظر قارىء العنوان هو ذلك التنغيم الموسيقي الناتج عن الجناس الناقص بين اللفظتين ذلك الذي يلحظه المتلقي من التناوب الصامتي للصوتين المجهورين(العين، والقاف)، وتجدر الإشارة إلى أن لصفة الجهر قدرة على منح الصوت قوة تنعكس على دلالة المفردة برمتها؛ فالعَصْمُ في اللغة: المَنْعُ والإمساكُ([1])، والقَصْمُ: الكَسْرُ([2]) ؛ فكلتا الدلالتين تدلان ضمنًا على الشدة والقوة.

فضلا على التشكيل الصرفي الذي جاءت عليه اللفظتان ؛ إذ يمثل صيغة منتهى الجموع المعرفة بـ(أل) التي تشير إلى العلم بتلك القواصم وحدودها وعددها والفئة التي نسجتها ودستها ،ومقصدها من وراء تلك الافتراءات والأكاذيب، كما تشير إلى دراية المؤلف وعلمه بالعواصم منها وتوثيق ذلك بأدلة وحجج وبراهين موثقة وصحيحة أثرًا وخبرًا بصورة مشوقة توضح ترفُّع صحابة رسول الله ﷺ عن خسائس الدنيا وسفاسفها وتوافهها وتظهر إخلاصهم وابتغاءهم رضوان الله، واتباع سنة نبيه ،وتدرأ عنهم كل ما نسجته هذه الأيدي الخبيثة.

وقد أكمل العنوان الفرعي تلك المحدودية الدلالية؛إذ قيَّد الفترة الزمانية لهذه القواصم بالعلامة اللسانية الزمانية (بعد) وبالحدث الجلل ومصاب الأمة الأعظم (وفاة النبي ﷺ) كما أظهر هذا النسيج البنائي التركيبي العنوان مبتدأً وما ورد مفصلًا في متن الخطاب تعد مخبرات عنه؛ فالعنوان:" يمثل المسند إليه أو الموضوع العام، وتكون كل الأفكار الواردة في الخطاب مسندات له، إنه الكلُّ الذي تكوّن هذه الأفكار أجزاءه([3])" فالعلاقة الدلالية التي نجمت عن هذا النسج التركيبي للعنوان واضحة للمتلقي؛ إذ يرتبط عنوان النص بمحتواه بعلاقة الإجمال الذي يليه تفصيل.

---

[1]- ابن فارس- معجم مقاييس اللغة- ٣٣١/٤- مادة (عَصَمَ)

[2]- مقاييس اللغة- ٩٣/٥- مادة (قَصَمَ)

[3]- جان كوهين- بنية اللغة الشعرية- تر: محمد الولي ومحمد العمري- الدار البيضاء – المغرب ١٩٨٦م- ص١٦١

فالمتصفح لهذا المؤلَّف العظيم قدره ومبتغاه يلحظ حرص صاحبه على إيراد القاصمة تليها العاصمة معضدًا عواصمه بالأدلة والبراهين؛ لتحقيق مواقف الصحابة وتبرئتهم مما نسبه إليهم هؤلاء المضللون الفسدة. فنراه مستهلًا خطابه الدفاعي بالتركيب غير الإسنادي (المركب الإضافي) المجازي (قاصمة الظهر) وهي قاصمة وفاة النبي ﷺ، التي كان شديدًا وقعها النفسي في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فقد غرُب أملهم وهيمن عليهم اليأس والقنوط؛ فهذا المصاب الجلل روعهم وأفقدهم قلوبهم وعقولهم وأنساهم بعض أمور دينهم؛ فغدوا يتدبرون آيات من الذكر الحكيم كأنهم يتلوونها أول مرة واضطربت حال المسلمين ؛ فاستخفى علي في بيت فاطمة ،وأصيب عثمان بالخرس، وأهجر عمر، وقال : ما مات رسول الله وإنما واعده الله كما واعد موسى([1]).واضطرب أمر الأنصار يطلبون الخلافة لأنفسهم؛ مما استصحب ذلك اختلاف بعض الصحابة على خروج جيش أسامة الذي جهزه رسول الله قبل وفاته ؛ ولكن الله، عز وجل، تدارك الإسلام والأنام بالصديق أبي بكر، رضي الله عنه وأرضاه، ووهبه رباطة جأشٍ وثباتًا انفعاليًّا في ذلك الخطب الجلل والمصاب العظيم، مكناه من إلقاء خطبته الشهيرة التي صوَّبت مآل المسلمين وذكَّرتهم بحقيقة الموت وأن الفناء مكتوب على كل من عليها سواء الأنبياء أو غيرهم؛ أما البقاء والخلود فلله الواحد القهار.

كما عرض القاضي ابن العربي لموقف الصديق أبي بكر، رضي الله عنه، من يوم السقيفة وكيف جاء كلامه مصيبًا ومعضَدًا بالقرآن والسنة؛ الأمر الذي دعا الأنصار إلى تذكر ذلك كله والانقياد إليه ومبايعته، وأنفذ جيش أسامة وحارب المرتدين، ومانعي الزكاة، ثم استخلف عمر الذي جعلها شورى فيمن مات رسول الله وهو عنهم راضٍ، ثم عرض المؤلف لخلافة عثمان وظهور مدبري الفتنة مبرزًا خلال ذلك سجايا أمير المؤمنين عثمان بن عفان ومناقبه ومكانته السامية وقدره العالي في الإسلام؛ فهو ذو النورين، زوج ابنتي النبي ﷺ، المبشر بالجنة على بلوى تصيبه كما أقر بذلك المصطفى صلوات الله عليه وتسليمه([2]).

---

[1]- العواصم من القواصم- ص٥٥-٥٦

[2]- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأرضاه: (أن النبي ﷺ دخل حائطاً، فأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فإذا هو أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فإذا هو

وفي القاصمة الثانية عدَّدَ المؤلف المظالم والمناكير التي ادَّعاها دعاة الفتنة على خليفة رسول الله عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، ومنها: ادعاؤهم ضربه عمار بن ياسر حتى فتق أمعاءه، وضربه لابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه، وابتداعه جمع القرآن وتأليفه وحرق المصاحف، كما حمى الحمى وأجلى أبا ذر الغفاري إلى الربذة وأخرج من الشام أبا الدرداء وولى أقاربه، وعلا على درجة رسول الله وقد انحط عنها أبو بكر وعمر ولم يحضر بدرا وانهزم يوم أحد، وغاب عن بيعة الرضوان وغير ذلك مما ادعوه وتولوه وعدوه مبررًا لإباحة دم أمير المؤمنين([1]).

ويشرع أبو بكربن العربي في نقض هذه القواصم واحدة تلو الأخرى حتى يأتي على آخرها مستعينًا بعواصمه المعَزّزَة بالأدلة والبراهين من الكتاب والسنة، وصحيح الأخبار؛ مصدّرًا إيَّاها بعبارات:" هذا كلُّهُ باطلٌ سندًا ومتنًا([2])"، " أما قولهم: جاء عثمان بمظالم ومناكير فباطلٌ..."، "...وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن تشتغل بها؛ لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل ولا تُذهب الزمان في مماشاة الجهال؛ فإن ذلك لا آخر له([3])"

ثم يعرض لـ(موقعة الجمل) وما ادَّعاه المضللون من اجتماع أصحاب مكة وخروجهم إلى البصرة؛ ليحرضوا على دم عثمان ثم خروج علي ،رضي الله عنه، إلى الكوفة وتعسكُر الفريقين والتقاؤهم ثم يعصم أبو بكر بن العربي القارىء من الانسياق وراءهم ؛ مثبتًا أن خروج الصحابة إلى البصرة صحيح لا إشكال فيه ؛ لكن الإشكال في سبب الخروج؛ فما أوردته صحاح الأخبار أنهم خرجوا لينظروا في جمع طوائف المسلمين بعد استشهاد عثمان وضم تشردهم، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا، ثم ينفي خروجهم مقاتلين"فما خرجوا مقاتلين وإنما ساعين في الصلح، راغبين في تأليف الكلمة([4]).

عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه) صحيح البخاري – رقم الحديث٣٦٧٤- حديث صحيح- باب مناقب عثمان

ص٢ - كتاب فضائل الصحابة محمد حسن عبد الغفار - الأحاديث الواردة في فضل عثمان رضي الله عنه - المكتبة الشاملة

[1]- العواصم من القواصم-ص

[2]- العواصم من القواصم- ص٧٧

[3]- العواصم من القواصم- ص٧٩

[4]- العواصم من القواصم- ص١٥٥-١٥٧

ثم يستكمل القواصم متلوة بالعواصم منها؛ ذاكرًا (حرب صفين) التي دارت بين أهل الشام وأهل العراق . وفتنة علي ومعاوية والافتراءات المثارة ضد معاوية، وبيعته ليزيد ولده، وقتل يزيد للحسين ([1])، رضي الله عنه. وجاءت عواصمه مؤيدة بأدلة من القرآن والسنة وموثوق الأخبار ؛ ليدرأ عن السلف الصالح هذه الاتهامات والافتراءات الكاذبة المضللة.

ثانيًا : الأبعاد التداولية للعنوان:

شرع القاضي ابن العربي في خطابه يدافع عن صحابة رسول الله ﷺ ؛تحقيقًا لموقفهم القويم ودحضًا لتلك الافتراءات الكاذبة المضللة التي تسعى إلى النيل من الإسلام بتشويه صورة الصحابة– رضوان الله عليهم أجمعين– تلك الصورة المثلى النقية لهم أفرادًا وجماعات، وقد اتخذ من مقاصد العلامة اللسانية والتعبيرية سبيلا لتحقيق مواقفهم وتصحيح ما ألصقه بهم الوضّاعون المضللون متخذين أكاذيبهم وضلالاتهم سلاحًا بتَّارًا يثير القلاقل في صفوف المسلمين ويعكر صفو إيمانهم؛ فالعنوان يومىء لقارئه بمقاصد عبرت عنها علامات لسانية ارتدت دلالتها من المتن إلى العنوان كما امتدت دلالات العلامات اللسانية من العنوان داخل المتن بقوة وبإسهاب على نحو ما سنرى:

أولا: المقاصد التوجيهية.

من المقاصد التداولية التي يمكن أن يدركها القارىء المتضمنة في هذا النسق البنائي(العنوان) ؛ أولها بلاشك:

- **وجوب الدفاع عن الصحابة ،رضوان الله عليهم أجمعين:**

غدا الدفاع عن الصحابة وعن تاريخهم البطولي وإظهار مناقبهم ؛واجبًا دينيًّا على كل مسلم وأصلا من أصول العقيدة؛ فالصحابة هم نقلة الشريعة وكتبة الوحي وهم من بعد نبيهم مصابيح الدجى للمسلمين كافة وقرنهم خير قرون الأمة الإسلامية، مصداقًا لقول المصطفي ﷺ:" خير الناس قرني ثم الذين يلونهم،ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته([2])" ؛فشهادة المصطفى، صلوات ربي عليه وتسليمه الذي لا ينطق عن الهوى، بخيرتهم وفضلهم تستوجب من كل مسلم الدفاع

[1]- العواصم من القواصم- ص١٨٣ وما بعدها

[2]- صحيح البخاري (٩٣٨/٢) ٥٦ - كتاب الشهادات، ٩ - باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم (٢٥٠٩) صحيح مسلم (١٩٦٣/٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ٥٢ - باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، رقم (٢١٢ /٢٥٣٣)

عنهم ودرأ كل ما يشوه صورتهم المثلى النقية؛ فالسعى في تشوية هذه الصورة يعد قاصمة كبرى للإسلام والمسلمين تستوجب العقوبة ؛لما فيها من نشر المفاسد والفرقة بين أفراد الأمة وغياب التأسي بهذا الجيل المثالي.

وقد أدرك ابن العربي، رحمه الله، أن الدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ واجب ديني على كل مسلم يغار على دينه؛فانبرى مدافعًا عنهم بكل ما أوتي من أدلة نقلية أو عقلية تنفي عنهم هذه التهم والافتراءات الكاذبة المضللة التي حاكتها الأيدي الخبيثة الآثمة أيدي أصحاب الأهواء والبِدع والعصبيات ؛ الأمر الذي يستوجب من المجتمع الإسلامي عقوبتهم والتشهير بهم وتوعية الشباب المسلم بمقاصدهم الدنيئة للنيل من الإسلام والمسلمين ، كما يستوجب من المعنيين بأمر الإسلام والمسلمين في أرجاء الأرض تكثيف جهودهم العلمية والإكثار من المؤلفات التي تذب عن الإسلام والمسلمين ما يرمي إلى تشويه صورتهما ، وتعيدها لهما نقية مثلى بيضاء خالية من الشوائب، وتحث الأجيال الشابة على مطالعتها للتصدي لمثل هذه المؤامرات وعدم الانسياق وراء أهواء مدبريها.

وهو ما أومأ إليه الشيخ محمود مهدي الاستانبولي في مقدمة كتاب(العواصم من القواصم) في معرض ثنائه على الكتاب وأثره في الدفاع عن الصحابة عليهم رضوان الله أجمعين؛ قائلا:" والعجب من كثير من علماء المسلمين أنهم نسوا كتاب العواصم من القواصم ؛ فجهل الجيل المسلم الحقيقة التي تذبح على مائدة الخونة والمتآمرين على الإسلام؛ ليضللوه وينفروه من سيرة الجيل المثالي خشية أن يقتدي به ويحلق–كما حلق سلفه من قبل– في ذرا المجد والعظمة؛ فيعيد سيرة الإسلام الأولى([1])" فمن حق صحابة رسول الله علينا–نحن المسلمين– أن نصحح تاريخهم وندرأ عن سيرتهم ما أُلصق بها من إفك ظلمًا وعدوانًا؛ لتكون صورتهم التي تعرض على أنظار الناس هي الصورة النقية الصادقة التي كانوا عليها؛ فتطمئن نفوس المسلمين إلى الخير الذي ساقه الله للبشر على أيديهم.

[1]- مقدمة كتاب العواصم من القواصم – ص٤٣

وقد أورد ابن العربي في هذا التوجه الأثر الذي ورد عن الصحابي الجليل(جابر بن عبد الله):" إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره؛ فإن كاتم العلم يومئذٍ ككاتم ما أنزل الله على محمد ﷺ([1])" ؛ليؤكد على كل من لديه علم بتاريخ الصحابة المضيء لدروب البشرية أن يظهره حال ما جهل الناس فضائلهم واستباحوا لعْنَهم وسبَّهم.

- **حث الشباب على التأسي بصحابة رسول الله والاقتداء بصفاتهم.**

فصحابة رسول الله ﷺ شهدوا التنزيل واستوعبوا مقاصده وتعلموا الفضائل على يد معلم البشرية؛ فهُم أفقه الأمة علمًا وأكثرها اعتدالًا وتوسطًا وأطهرها فطرة؛ فهم خير الناس منزلة بعد الأنبياء، وقد أثنى عليهم القرآن الكريم في مواضع عديدة، وأقر بعلو منزلتهم ، قال تعالى: " **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) ، قال تعالى: " لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)**"[٣٢]

ومنجاةً لشباب المسلمين حثهم أبو بكر بن العربي على التأسي بهم موظفًا في سبيل تحقيق ذلك علامات لسانية تحمل في طياتها الدلالية الصفات النقية التقية الجلية الواضحة لصحابة رسول الله؛ ليتخذوهم قدوة حسنة، ومثلا يحتذى ونبراسًا مضيئًا لمسيرتهم الحياتية بجوانبها كافة؛ فهؤلاء لن يأتي الزمان بمثلهم خلقًا ودينًا وعونًا لغيرهم وحبًا لنبيهم وحفظًا لعهدهم،يقول:" فانظروا إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها وأقدر سردها ولن يأتي مثلها بعدها أبدا([4])" كما حثَّ على التأسي بهم في الكياسة والفطنة ورجاحة العقل وتدبر الأمور بحكمة وحسن خلق، يقول واصفًا موقف عبد الله بن عمر، رضي الله

---

[1]- ابن ماجه، سنن ابن ماجه (١٧٦/١)، ١١ - باب في فضائل أصحاب رسول الله - ﷺ-، ٢٤ - باب من سئل عن علم فكتمه، رقم (٢٦٣) عن الحسين بن أبي السري العسقلاني، عن خلف بن تميم، عن عبد الله بن السري، عن محمد بن المنكدر عن جابر به.
الطبراني، المعجم الأوسط (١٣٦/١) رقم (٤٣٠) عن أحمد بن خليد عن عبد الله بن السري الأنطاكي به.

[2]الحشر: ٨.

[3]الأنفال: ٦٤.

[4]- العواصم من القواصم – ص٩٥

عنه، وقد دخل على عثمان بن عفان ،رضي الله عنه،فقال له عثمان:" انظر ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلع نفسك أو نقتلك، قال له (ابن عمر): أمخلدٌ أنت في الدنيا؟ قال:لا، قال: هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال:لا، قال: هل يملكون لك جنة أو نار؟قال:لا، قال: فلا تخلع قميص الله عنك فتكون سُنة، كلما كره قومٌ خليفتهم قتلوه أو خلعوه([1])" وكذلك أومأ ابن العربي،، رحمه الله، إلى التأسي بالتابعين في الكف عن أحوال المسلمين، والتسليم لرب العالمين، والتحلي بالعقل الراجح والدين القويم والقلب السليم، وذكر ما كان من الربيع بن خيثم([2]) لما قيل له: قُتِل الحسين! قال:أقتلوه؟ قالوا: نعم([3])،فقال: " **قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦)**" [4] ولم يزد على هذا أبدا([5])" كما لم يغفل ابن العربي دور الأئمة الأخيار وفقهاء الأمصار وحفَّاظ الدين وحثَّ كذلك على التأسي بهم والاقتداء بصنيعهم في الإعراض عن هذه السخافات،:"وعلموا أنها عصبيات جاهلية، وحمية باطلة، لا تفيد إلا قطع الحبل بين الخلق وتشتيت الشمل واختلاف الأهواء– وقد كان ما كان، وقال الأخباريون ما قالوا فإما سكوت، وإما اقتداء بأهل العلم، وطرح لسخافات المؤرخين والأدباء والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته([6])".

- **التحذير من مماشاة الجهَّال والمضللين:**

برع أبو بكر بن العربي في انتقاء العلامات اللسانية والأطر الدلالية التي تومىء،ضمنًا، إلى تحذير المسلمين الانسياق خلف هؤلاء المضللين الجهَّال، والخوض معهم في افتراءاتهم وادعاءاتهم وسخافاتهم، يقول:" ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه...،ولا يغني من الله ولا من

---

[1]- العواصم من القواصم- ص١٣٧

[2]- الربيع بن خيثم الثورى، من بنى ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة، الإمام، القدوة، العابد، أبو يزيد الثوري، الكوفي، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وأرسل عنه، روى عن ابن مسعود وأبي أيوب وعمرو بن ميمون وعنه الشعبي وإبراهيم النخعي وأبو بردة، توفي سنة أربع وستين، الذهبي(شمس الدين أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، ط٣، مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م (٦٢٢/٦)- انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣٠٥/٨)

[3]- الثعلبي، أبو إسحاق- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (المعروف بتفسير الثعلبي) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي،ط١- بيروت – لبنان١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م (٢٣٩/٨)

[4]الزمر: ٤٦.

[5]- العواصم من القواصم- ص١٨٢

[6]- العواصم من القواصم- ص٢٤٧

دنياهم شيئا عنهم([1])"فإن هؤلاء السفهاء قد غلبهم حسدهم، وغلبتهم عداواتهم لصحابة رسول الله ﷺ؛ فأحدثوا لهم عيوبًا، واختلقوا لهم بدعًا ونواقص لا تليق بمنزلتهم في الدنيا والدين؛ فيحذر ابن العربي قارئه المؤرخين الذين يتقولون الأقاويل الباطلة ويفتعلون الروايات المضللة؛ ليثبتوا فكرتهم الأساسية المشوهة للصحابة رضوان الله عليهم وهي أنهم لم يلتزموا تعاليم الإسلام الصحيحة، ولم يتقيدوا بها، فغيرهم من الأجيال التي تلتهم من باب أولى يكونوا كذلك؛ فيقول أبو بكر بن العربي محذرًا من تقولاتهم:" ولا تلتفتوا إلا إلى ما صحَّ من الأخبار واجتنبوا أهل التواريخ فإنهم ذكروا عن السلف أخبارًا صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل؛ فيقذفوا في قلوب الناس ما لا يرضاه الله تعالى، وليحتقروا السلف ويهونوا الدين، وهو أعز من ذلك، وهم أكرم منا، فرضي الله عن جميعهم([2])"، ويقول:" وكل ما سمعت من خبر باطل إياك أن تلتفت إليه([3])" ويقول في موضع آخر:"هذا كله كذِبٌ صراحٌ ، ما جرى منه حرف قط وإنما هو شيء اخترعته المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك ؛فتوارثته أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع([4])" كما يحذر من روايات بعض كتب التاريخ، يقول:"وما وقع من روايات بعض كتب التاريخ...؛ فلا تلتفتوا إلى حرف منها، فإنها كلها باطلة([5])" ومن الأحاديث الضعيفة سندًا ومتنًا ، يقول معقّبًا على حديث:" الخلافة ثلاثون عامًا ثم تكون ملكًا"([6])؛ يقول:" فلا تلتفتوا إلى أحاديث ضعُف سندُها ومتنُها([7])" كما ذمَّ الفرق المبتدعة– البكرية، والعمرية،والعثمانية، والعلوية، والعباسية– والمتعصبين لها وحذَّر من مماشاتهم، يقول: " كلٌّ تزعم أن الحق معها وفي صاحبها، والباقي ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم، وليس ذلك بمذهب، ولا فيه مقالة، وإنما هي حماقات وجهالات، أو دسائس للضلالات، حتى تضمحل الشريعة، وتهزأ الملحدة

[1]- العواصم من القواصم- ص٢٤٧
[2]- العواصم من القواصم- ص٢٥٦
[3]- العواصم من القواصم- ص٧٥
[4]- العواصم من القواصم- ص١٧٩
[5]- العواصم من القواصم- ص١٧٤
[6]- أحمد بن حنبل- مسند أحمد (٢٤٨/٣٦) عن بهز، عن حماد بن سلمة، عن سعيد بن جمهان عن سفينة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " الخلافة ثلاثون عاما، ثم يكون بعد ذلك الملك "- ابن حبان، صحيح ابن حبان (٨/٦)، عن أبي يعلى، عن إبراهيم بن الحجاج السامي، عن عبد الوارث بن سعيد، عن سعيد بن جمهان به
[7]- العواصم من القواصم- ص٢١٧

من الملة ويلهو بهم الشيطان ويلعب، وقد سار بهم في غير مسير ولا مذهب[١]" ، ويقول عنهم:" ما رضيت النصارى واليهود في أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض في أصحاب محمد ﷺ حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل فما يرجى من هؤلاء، وما يستبقى منهم[٢]، وقد قال تعالى: " **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)**"[٣]

فهذه العلامات اللسانية المحذرة المدرجة في متن هذا الخطاب الدفاعي التي استنطقت عنوانه ؛تُظهر كيف حذّر ديننا الحنيف الطعن في الصحابة الكرام وإيذاءهم؛ إذ يعدُّ ذلك طعنًا في التشريع الإسلامي الذي هم رواته، وتشويهًا للأمانة التي حملوها، وتشكيكًا في قواعد ديننا وأركانه؛ الأمر الذي أوضح القرآن جزاءه وعقابه، في قوله تعالى:

"**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)**" [٤] ،وطعنًا في السنة المطهرة التي أمرت باتباع منهجهم القويم ، مصداقًا لقول المصطفى ﷺ:" إياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليهِ بسنتي وسُنةِ الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ[٥]" ، وقد وصف(الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ) هؤلاء وأمثالهم بالزنادقة، يقول:" إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة[٦]" ، وأسماهم الحافظ ابن حجر، رحمه الله، المبتدعة ، يقول:" اتفق أهل السنة على أن الجميع–أي

---

[١]- العواصم من القواصم-ص٢٥٨

[٢]- العواصم من القواصم – ص١٧٤

[٣]النور: ٥٥.

[٤]الأحزاب: ٥٨.

[٥]- الترمذي- جامع الترمذي١١/٤٤٠- - العلم: باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة- ، رقم الحديث:٢٦٧٦، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح."

[٦]- البغدادي، الخطيب أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)- الكفاية في علم الرواية- تح:أبو عبد الله السورقي، إبراهيم محمدي المدني- ط١- دائرة المعارف العثمانية – الدكن ١٣٥٧هـ- ص٤٩

الصحابة– عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة([1])"، ولم يكتفِ ابن العربي بتوجيهياته الوجوبية والتحذيرية بل قصد إلى رصد إقرارات تدعمها ، ومنها:

- **الإقرار بفضائل الصحابة– رضوان الله عليهم– أفرادًا وجماعات:**

هؤلاء هم كتبة الوحي ، ونقلة الشريعة ووزراء المصطفى وأصهاره؛ فقد تمكن أبو بكر ابن العربي من تحقيق هذه المعاني بعلامات لسانية وأطر دلالية ممتدة في متن النص كله ومرتدة دلاليًا إلى العنوان حاملة في طياتها المقاصدية إقرارات ضمنية بفضائلهم، رضوان الله عليهم أجمعين، أفرادًا وجماعات، يقول:" وعلماء السلف السابقين، ومن بعدهم التابعين–أهل الخبر والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، قال تعالى: " **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)**"[2]؛ فهؤلاء لم يتقدمهم أحد في الفضيلة؛ فقد ذبُّوا عن حوزة المسلمين وقاموا بسياسة الدين([3]).كما فصَّل القول في فضائلهم وعرض لمناقبهم في مواضع متفرقة من كتابه؛ فنراه يسوق ما ثبت أن النبي ﷺ، صعد أحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم، فرجف بهم؛ فقال:" اثبت أحد؛ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان([4])"، ويقول ابن العربي مؤكدًا علو منزلة الصديق، رضي الله عنه،وسمو قدره:" ولو لم يكن معكم أيها السنية إلا قوله تعالى: " **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)**"[5] ؛فجعلها في نصيف وجعل أبا بكر في نصيف آخر وقام معه جميع الصحابة([6])..."كما ذكر فضل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وثناء النبي ﷺ، عليه ما روي عن الرسول ﷺ أنه قال:" لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالُ يتكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن

[1]- العسقلاني،الحافظ ابن حجر(ت٨٥٢هـ) - الإصابة في تمييز الصحابة- ط١- دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ- ١٠/١

[2]النساء: ١١٥.

[3]- العواصم من القواصم- ص١٩٨

[4]- صحيح البخاري (١٣٤٤/٣)، ٦٦ - كتاب فضائل الصحابة، ٥ - باب: قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذا خليلا)، رقم (٣٤٧٢)

[5]التوبة: ٤٠.

[6]- العواصم من القواصم – ص٨٨

يكن في أمتي منهم أحد فعمر[١]" كما ذكر في فضل الشيخين (أبي بكر وعمر) ما رُوي أن النبي ﷺ ، قال:" بينما أنا نائمٌ رأيتني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم استحالت غربًا؛ فأخذها ابن الخطاب؛ فلم أر عبقريًّا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن[٢]"، وإقرارًا نبويًّا آخر يقضي بفضل صحابته رضوان الله عليهم جميعا، يقول ﷺ:" النجومُ أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماء ما تُوعدُ، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون[٣]" وفي موضع آخر يقول ابن العربي:" وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبدا[٤]"، ويقول:" فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى في قدره ما مضى، علم أن الحق ألا يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرًا وعلمًا وتقى ودينًا، فانعقدت له البيعة[٥]" كما أجمل ما فصّله من علامات لسانية تومىء إلى فضائل الصحابة أفرادًا وجماعات وذلك في مواضع متفرقة من كتابه ، يقول:" وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء في خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصًا وعمومًا، وقد قال تعالى:

" **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)**"

[٦]وإذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلمن ينفذ؟ وإذا لم يكن فيهم ففيمن يكون[٧]؟".

---

[١]- صحيح البخاري (١٣٤٩/٣) ٦٦ - كتاب فضائل الصحابة، ٦ - باب: مناقب عمر بن الخطاب، رقم (٣٤٨٦)

[٢]- صحيح البخاري (١٣٤٠/٣)، ٦٦ - كتاب فضائل الصحابة، ٥ - باب: قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذا خليلا)، رقم (٣٤٦٤)

[٣]- مسلم، صحيح مسلم (١٩٦١/٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ٥١ - باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة رقم الحديث: (٢٥٣١/٢٠٧)

[٤]- العواصم من القواصم – ص١٧

[٥]- العواصم من القواصم- ص١٤٦

[٦]النور: ٥٥.

[٧]- العواصم من القواصم- ص١٩٨

فالصحابة ،رضوان الله عليهم، بشر يخطئون ويصيبون؛ فلا يستطيع أحد أن يدعي لهم العصمة؛ فقد جعلها الله لأنبيائه وملائكته فحسب، يقول بعض من تطرق لهذا الأمر:" نعم، لقد أخطأ بعضهم في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، لكنَّ ما تحملوه من الأذى والقهْر والتنكيل في سبيل الإيمان بالله ورسوله، والدعوة إلى الدين القويم وملة إبراهيم، وما بذلوه من هجرة الأهل والأوطان، وجهادهم بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وذبّهم عن رسول الله ﷺ بكل ما يملكون؛ يجعل هذه الأخطاء في جانب هذه الحسنات العظيمة والأعمال الصالحة كحبّات رَمْلٍ في جبالٍ وقطراتِ ماءٍ في عُبابٍ([1])."

فقد عكس العنوان بوصفه نسيجًا خطابيًّا موجزًا ،أفعالًا متضمنة في القول ، وبواطن دلالية عميقة كشفت عنها علاماته اللسانية وأقواله التعبيرية؛ فضلا على بقية عناصره السياقية المحددة لدلالاته المقيدة لمقاصده؛ فلاحظنا ارتدادًا لدلالات بعض الأطر النصية القولية في متن هذا الخطاب الدفاعي تلك التي قصد من ورائها الدفاع عن صحابة رسول الله تصريحًا كان ذلك أو تلميحًا؛ فقد ارتدت الدلالات من المتن لتلتصق بالعنوان بوصفه جزءًا من بنياته ومستودعًا لدلالاته التي امتدت بدورها مرة أخرى في متن النص؛ ليشكلا معا(العنوان والمتن) الكل الخطابي الذي يكشف الدلالة المرادة من العلامة اللسانية التعبيرية.

المبحث الثاني: سيمياء الإشاريات الخطابية:

تعدُّ الإشاريات أولى درجات التحليل التداولي وفقًا لما بينه هانسونHanson ؛ إذ مايز بين ثلاث درجات للتداولية؛ فتداولية الدرجة الأولى هي دراسة للرموز الإشارية ضمن ظروف استعمالها(أي سياق تلفظها)، وتداولية الدرجة الثانية تعد دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها، أما تداولية الدرجة الثالثة؛ فقد تمثلت في نظرية أفعال الكلام([2]).

[1]- الخميس، عثمان بن محمد- حقبة من التاريخ:ما بين وفاة النبي ﷺ إلى مقتل الحسين،رضي الله عنه(٦١هـ)- ط٣- دار الكتب المصرية٢٠٠٦- ص٦

[2]- أرمينكو،فرانسواز- المقاربة التداولية- تر: سعيد علوش- مركز الإنماء القومي- الرباط- المغرب ١٩٨٦- د.ط- ص٣٨

وقد عرفها بعضهم، محددًا أنماطها،بقوله:" مفهوم تداولي يجمع كل العناصر التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود ذات متكلمة وزمان التكلم ومكانه ومن ثمَّ لابد من استحضار سياق زماني ومكاني والشخوص لتحديد الإشاريات([1])"؛ إذ تعنى بمفهومها الشائع علامات لسانية مبهمة تحيل إلى مرجع محدد داخل السياق أو خارجه يوضح إبهامها، ولا يقتصر دورها عند الظاهر الدلالي منها، بل يتخطى ذلك إلى المعنى الكامن في بنية الخطاب القولية؛ مما يكسبها دورًا تداوليًّا.

والإشاريات في هذه الرؤية البحثية تنماز عما تناوله الدارسون في كتاباتهم وتطبيقاتهم؛ إذ تنهض على السعة الدلالية والوظيفية؛فتشمل كل علامة لسانية من شأنها إبراز الدلالات الضمنية العميقة التي يستشعرها القارىء من بنية الخطاب ؛ ولا تقتصر على الإحالة إلى زمان أو مكان أو ذات متكلمة فحسب؛ بل تحيل إلى أحداث متصلة بالسياق نفسه داخل النسق الخطابي أو خارجه على حدٍ سواء. كما تتسم الإشاريات هنا بوضوحها وانعدام إبهامها؛ فلم تمنحها المرجعية الداخلية أو الخارجية وضوحًا إنما زادتها تأكيدًا لمسارها الدلالي ودعمًا وإكمالًا لناقصها وشرحًا لموجزها؛ فغايتها إذن الإحالة إلى أحداث داخل النسق الخطابي أو خارجه في السياق ذاته.

والمتأمل لما أحالت إليه بعض العلامات اللسانية عند أبي بكر بن العربي يلحظ ما أومأت إليه بنيتها القولية من دلالات عميقة انبثقت من السياق، وتأكدت بدلالات مشابهة داخل النسق الخطابي نفسه وممتدة خارجه في السياق ذاته؛ لذا آثرت تحديد لفظة الإشاريات وتقييدها دلاليًّا بلفظة (الخطابية) وذلك لشمول دلالاتها ما هو أبعد من الدلالة على الزمان أو المكان أو الإحالة إلى شخوص متكلمة.وقد تجلت مقاصدها التداولية في بعدين رئيسين:

- **البعد النفسي:**

فقد نحا أبو بكر بن العربي في تعبيره عن أثر وقع قاصمة وفاة النبي ﷺ منحى نفسيًّا واصفًا الحالة المضطربة التي كان عليها الصحابة،رضوان الله عليهم، معبرًا عن ذلك بعلامات لسانية أظهرت تلك الدلالة النفسية الكامنة وراء بعض العلامات اللسانية،

[1]- مزيد، بهاء الدين محمد- تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي- شمس للنشر والتوزيع-ط١- القاهرة ٢٠١٠م

ومنها: قول "أنس بن مالك" رضي الله عنه،" ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا([1])" ، ومنها:" واضطربت الحال...، فكان موت النبي ﷺ قاصمة الظهر ومصيبة العمر([2])"؛ ذلك الخطب الجلل والمصاب الأعظم الذي عبَّر عنه ابن العربي أصدق تعبير وأدقه(قاصمة الظهر ومصيبة العمر) قد أصاب الصحابة، رضوان الله عليهم، بالهلاك النفسي لشعورهم بفقدان القائد والموجه والمعلم والمرجع والملجأ في الخطوب والندوب والملمات.

وقد تأكدت هذه(الإشاريات الخطابية) ذات الدلالات النفسية بعلامات لسانية داخل النسق الخطابي وأخرى خارجه تؤيدها وتعززها وتدعم مسارها الدلالي الكامن ؛لتعين المتلقي على إظهاره ، والكشف عنه واستيعابه.

ففي درج هذا النسيج الخطابي وظَّف ابن العربي المركبين غير الإسناديين(قاصمة الظهر– مصيبة العمر) توظيفًا دلاليًّا مغايرًا لدلالتهما الحقيقية ؛ فقد نُقِل مجالهما الدلالي بالمجاز من المجال الحسي إلى المجال المعنوي؛ لينتج عن ذلك تعبيران اصطلاحيان تضمنا ثقلا دلاليًّا وعمقًا نفسيًّا وكثافة دلالية موحية بغروب الأمل وانكسار النفس وهيمنة اليأس والقنوط وسفر الأرواح وغربتها؛ فقد كان فراقه ﷺ شديدًا وقعه وتأثيره في نفوس صحابته،رضوان الله عليهم، فقد روَّعهم هذا المصاب الجلل وأصابهم بحالة من نسيان بعض أمور دينهم، وغدو يتدبرون آيات من الذكر الحكيم وكأنهم يتلوونها أول مرة، وهذه الحالة الشعورية المضطربة أكدها ابن العربي بما عبَّر عنه أنس بن مالك، رضي الله عنه، بقوله:" أنكرنا قلوبنا"؛ إذ بدا جليًّا ما تحمله هذه العلامة اللسانية من شحنة نفسية ذات صدى دلالي محزن ووقع أليم ومرير وقد أردف ابن العربي حديث أنس بن مالك معقبًا عليه بعلامة لسانية ذات مكنونات نفسية أوسع وأشمل ،" واضطربت الحال" ذلك المركب الفعلي ذو الفعل اللازم الذي يجسد الحال التي كان عليها الصحابة وقتذاك؛ فالاضطراب في عرف علماء النفس هو

[1]- الترمذي- سنن الترمذي (٥/٥٨٨) ٤٦- أبواب المناقب، رقم ٣٦١٨، عن بشر بن هلال الصواف البصري قال: حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: «لَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ ﷺ المَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِي وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»: قال الترمذي «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ»

[2]- العواصم من القواصم- ص٥٤

حركة في غير انتظام أو هو خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور، وهو ما أكده ابن العربي في سياق خطابه واصفًا حال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه،بقوله:" أما عمر فأهجر، وقال: ما مات رسول الله ﷺ، وإنما واعده الله كما واعد موسى؛ وليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي ناس وأرجلهم([1])"

فهذا الشعور بالحزن الشديد الذي انتاب الفاروق، رضي الله عنه، لفراق المصطفى صلوات الله عليه وتسليمه، وخوفه المفرط على دين الله، هذا الشعور قد أذهله وجعله يأتي بهجر([2]) من القول وهذيان في منطقه، ولم يبعد عن هذه الحال المضطربة ذو النورين عثمان بن عفان وما انتابه في هذا اليوم ؛ فقد وصف ابن العربي حاله بالسكوت ، يقول:" أما عثمان فسكت([3])" فقد أفقدته هذه الصدمة المروعة القدرة على الكلام ، وهو ما أورده ابن كثير من وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حالها وحال الصحابة في هذا اليوم أبلغ وصف وأروعه وأدقه؛ تقول، رضي الله عنها وعن أبيها،:" والله قد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبَّعة([4])" ؛ فهذا الوصف الدقيق البليغ أبرز بوضوح ما انتاب المسلمين أجمعين، وقتذاك، من اضطراب نفسي وحسرة وهم وغم وحيرة وانكسار لفقدهم المرجع والملاذ الآمن والقائد والموجه والمصحح مسار دينهم ودنياهم؛ فالشعور بالحزن الشديد والخوف المفرط أصاب المسلمين بالاضطراب الشديد فزلزلت نفوسهم حتى ذهل بعضهم فلا يستطيع التفكير وسكت بعضهم لا يستطيع الكلام وقعد بعضهم لا يستطع القيام وأنكر بعضهم لا يستطيع التصديق.

وثمة امتداد دلالي لهذه العلامات اللسانية خارج هذا النسق الخطابي تؤكد تلك الدلالات النفسية العميقة الناتجة من اضطراب الحال، وذلك فيما ذكره أحمد بن حنبل

---

[1]- العواصم من القواصم- ص٥٥

[2]-الإهجار: أو الهذيان هو حالة شعورية نفسية نتجت عن:" اضطراب عقلي مؤقت يتميز باختلاط أحوال الوعي- معجم المعاني عربي- عربي- https://www.almaany.com/

[3]- العواصم من القواصم- ص٥٥

[4]- البيهقي، السنن الكبرى (٣٤٩/٨) رقم (١٦٨٤٨)، عن علي بن أحمد بن عبدان، عن أحمد بن عبيد، عن الحارث بن أبي أسامة، عن يزيد بن هارون، عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، عن عبد الواحد بن أبي عون، عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها به

في مسنده ما رواه أنس، رضي الله عنه، واصفًا أحداث هذا اليوم العصيب؛ قائلا:" لما كان يوم الاثنين كشف رسول الله ﷺ ، ستر الحجرة فرأى أبا بكر وهويصلي بالناس قال فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف وهو يبتسم، قال وكدنا أن نفتتن في صلاتنا فرحًا لرؤية رسول الله ﷺ فأراد أبو بكر أن ينكص؛ فأشار إليه أن كما أنت ثم أرخى الستر فقُبِض من يومه ذلك فقام عمر فقال إن رسول الله لم يمت لكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى فمكث عن قومه أربعين ليلة والله إني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون....أن رسول الله قد مات([1])" و ذكر السهيلي(ت٥٨١هـ) في هذا السياق ما رُوي عن أم المؤمنين، رضي الله عنها،" أن النبي ﷺ لما قُضي، وارتفعت الرَّنة، وسجّى رسول الله ﷺ؛ دُهِش الناسُ، وطاشت عقولهم وأُفْحِموا، واختطوا، فمنهم من خُبِل، ومنهم من أصْمِت،ومنهم من أُقْعِد إلى الأرض؛ فكان عمر ممن خُبِل وجعل يصيح، ويحلف: ما مات رسول الله وكان ممن أُخرِس عثمان بن عفان حتى جعل يُذهب به ويُجاء، ولا يستطيع كلامًا وكان ممن أُقْعِد: علي، رضي الله عنه، فلم يستطع حراكًا، وأما عبد الله بن أنيس؛ فأضني حتى مات كمدًا([2])"؛ فهذا المصاب العظيم قد أصاب عقول المسلمين؛ حتى الأشداء منهم أمثال الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بالاضطراب المؤقت غير أنَّ مشيئة الله وقدرته ورحمته بالمسلمين ونصره لدينه وحياطته إياه قضت أن يكون الصديق، رضي الله عنه، رفيق المصطفى في السفر والحضر وخليفته الأول– قويًّا في هذا الموقف العصيب؛ فقد ألهمه الله ثباتًا انفعاليًّا ، ورباطة جأش، وحكمة بليغة؛ ليدرأ عن دينه وعن المسلمين فتنة نفسية أوشكت أن تحل بنفوس المسلمين؛ فخطب، رضي الله عنه، فيهم وهدَّأ روعهم وذكَّرهم بآيات الله وأن محمدًا عليه الصلاة والسلام بشرٌ يُجري الله عليه شؤون الكون؛ فليس مخلدًا في هذه الدنيا كما لم يخلد نبيٌ قبله، يقول أبو بكر بن العربي:" فتدارك الله الإسلام

[1]- أحمد بن حنبل، مسند أحمد (١٢٨/١٩)، عن سفيان، عن الزهري، عن الثوري، عن أنس به
ابن حبان، صحيح ابن حبان (١٥٦/٤)، عن محمد بن الحسن بن قتيبة، عن ابن أبي السري، عن عبد الرزاق،عن معمر، عن الزهري، به

[2]- السهيلي، عبد الرحمن- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام- تح: عبد الرحمن الوكيل- دار الكتب الإسلامية- ٥٨٦/٧

والأنام...بأبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وكان إذ مات النبي غائبًا في ماله بالسُنح([1]) فجاء إلى منزل ابنته عائشة، رضي الله عنها، وفيه مات النبي ﷺ ؛ فكشف عن وجهه، وأكب عليه يقبله، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، طبتَ حيًّا وميّتًا والله لا يجمع الله عليك الموتتين، أما الموتة التي كتب الله عليك فقدمتها، ثم خرج إلى المسجد– والناس فيه وعمر يأتي بهجر من القول– فرقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:" أما بعد أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت([2])" ثم قرأ: قال تعالى: " **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)**"[3] ؛فقال أبو هريرة: قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر تلاها؛ فعقرت حتى قعدت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات([4])" قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ؛ قال: وأخذها الناس عن أبي بكر؛ فإنما هي في أفواههم([5])"

وتمتد العلامة اللسانية(اضطربت الحال) امتدادًا دلاليًّا نفسيًّا داخل هذا النسق الخطابي فيما ساقه أبو بكر بن العربي في وصف(بعث أسامة)، بقوله:"وانقطعت قلوب الجيش الذي كان قد برز مع أسامة بن زيد بالجرف([6])" فانقطاع القلوب علامة لسانية مجازية توحي بالحزن المفرط والألم الشديد والهلاك النفسي الذي أصاب أفراد جيش أسامة حال علمهم باشتداد المرض على رسول الله، "وكان قد ندبهم رسول الله ﷺ إلى تخوم البلقاء(شرق الأردن) حيث قُتِل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وابن رواحة، يقول السهيلي:" وقال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أسامة بن

[1]- السُنح: منازل بني الحارث بن الخزرج في عوالي المدينة بينها وبين مسجد رسول الله ميل واحد، ينظر: هامش كتاب العواصم من القواصم.
[2]- العواصم من القواصم- ص٦٠-٦١
[3]آل عمران: ١٤٤.
[4]- السهيلي- الروض الأُنُف- ٥٥١/٧
[5]- الروض الأنف- ٥٥١/٧
[6]- العواصم من القواصم- ص٥٩

زيد، وهو في وجعه، فخرج عاصبًا رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أمَّر غلامًا حديثًا على جِلة المهاجرين والأنصار؛ فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: أيها الناس، أنفِذوا بعث أسامة؛ فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة؛ وإنما كان أبوه لخليقًا لها ، قال: ثم نزل رسول الله ﷺ، وانكمش الناس في جهازهم، واستعزَّ برسول الله ﷺ وجعه؛ فخرج أسامة، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرف، من المدينة على فرسخ، فضرب به عسكره، وتتام إليه الناس، وثُقُل رسول الله ﷺ؛ فأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قاضٍ في رسول الله([1])". ولكن الله تعالى ألهم أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، الإصرار على إنفاذ بعث أسامة وأوصاه أن يفعل ما أمر به رسول الله ﷺ.

- **البعد الاجتماعي التواصلي:**

بدا واضحًا في العلامات اللسانية التي أومأت إلى موقف مرسل الخطاب(أبي بكربن العربي) من الأحداث التي يعرضها والقضايا التي يثيرها في خطابه سواء أكان موقفه تصديقًا أم تكذيبًا وقبولًا أم رفضًا ؛ فالتداولية تعنى، في المقام الأول، بدراسة اللغة في استعمالها وعلاقتها بمستعمليها.

ولعل أهم العلامات اللسانية التي أومأت إلى موقف أبي بكر بن العربي من الفتنة في عهد عثمان ذلك الموقف الرافض لها ولأسبابها وقد رغب ابن العربي في إيصاله موقفه هذا إلى متلقيه؛ فاستعان على ذلك بتوظيف علامات لسانية متنوعة؛ فما جاء في قوله:" ولما صحَّت إمامته قُتِل مظلومًا([2])" ؛نجده قد أماط اللثام عما شهده عهد عثمان من فتنٍ لم يسعَ إليها، كما لم يدعُ إلى بيعة أو حرب مع المسلمين،وزخرت كتب المؤرخين بالإشادة بعصره، رضي الله عنه؛ إذ يعدونه العصر الذهبي للخلافة الراشدة؛ فقد امتدت رقعة الإسلام فيه امتدادًا عظيمًا، وعمَّ الرخاءُ والأمن وازدادت الأعطيات والفتوحات واستمرت زهاء اثنتي عشرة سنة وفيها نُشِر بساط الدولة الإسلامية؛ فغزا معاوية قبرص وكان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قد منع الغزو بحرًا، وأذِن عثمان به وفُتِحت أذربيجان وأرمينية،

[1]- الروض الأنف- ص٥٤٣

[2]- العواصم من القواصم- ص٧٣

وكابل وسجستان، وغير ذلك كثيرة، وفي خلافته كانت المعركة الكبرى(ذات الصواري).كما قام، رضي الله عنه، ببناء أول أسطول بحري، وبتوسعة المسجد النبوي، والمسجد الحرام فضلًا عن حسنته الكبرى وهي جمع القرآن مرة ثانية ، وإحراق ما خالفه من المصاحف.

ثم كانت الفتنة سنة خمس وثلاثين من الهجرة حين خرج هؤلاء الظلمة المفترون؛ فقتلوه في بيته عدوانًا وظلمًا وهو يقرأ القرآن بعد حصار دام أربعين يومًا مُنِع خلالها من كل شيءٍ حتى الصلاة في المسجد([1]). كما امتدت هذه العلامة اللسانية (قُتِل مظلومًا) خارج هذا النسق الخطابي فيما ذكره الإمام أحمد بن حنبل في مسنده مما رواه عبد الله بن عمر، رضي الله عنه،وعن أبيه، قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة؛ فمرَّ رجلٌ، فقال ﷺ:" يقتل فيها هذا المقنع يومئذٍ مظلومًا قال: فنظرت ؛فإذا هو عثمان بن عفان([2])" فيذكر المؤرخون أن مدبري الفتنة أتوا بمكاتبات مزورة على ألسنة الصحابة تذم عثمان بن عفان وهم منها براء؛ ومنها ما ذكره ابن كثير بقوله:"قال مسروق: قالت عائشة: تركتموه(أي عثمان) كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يُذبح الكبشُ. فقال لها مسروق: هذا عملكِ كتبتِ ؛للناسِ تأمرينهم بالخروج عليه. فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبتُ لهم سوادًا في بياض، حتى جلستُ مجلسي هذا. قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كُتِب على لسانها.([3])" فهذه المكاتبات الباطلة،قولا وفعلا، التي ادَّعاها مدبرو الفتنة كانوا يرسلونها إلى بعضهم: فعل الوالي بنا كذا بأمر من عثمان، وذهبنا إلى المدينة ففعل بنا عثمان كذا، وعثمان فعل بأصحاب محمد كذا، وجاءتنا رسالة الزبير بن العوام،وجاءنا خطاب من علي بن أبي طالب، وجاءنا كتاب من عائشة؛ فصار الأعراب الذين لا يفقهون من دين الله تبارك وتعالى إلا الشيء اليسير يتأثرون بهذه الأمور؛ فغلت القلوب على عثمان، رضي الله عنه([4]).كما يظهر ابن العربي موقفه ،الرافض، من بعض

[1]- الخميسي، عثمان بن محمد- حقبة من التاريخ- ص١٢٢ وما بعدها.
[2]- مسند أحمد بن حنبل- ١١٥/٢-
[3]- ابن أبي شيبة، المصنف (٤٩/١٨)، عن أبي معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن مسروق عن عائشة به.
[4]- الخميسي- حقبة من التاريخ- ص١٣١-١٣٢- بتصرف

العلامات اللسانية التي جاء بها المدعون ،في هذا النسق الخطابي ، مثل عبارة(جاء عثمان بمظالم ومناكير) تلك التي اتخذها مدبرو الفتنة سببًا في قتل عثمان رضي الله عنه؛ فيسوق حججه وبراهينه التي تذب عن عثمان تلك الاتهامات والافتراءات، التي جاءوا بها، ومنها:

- **ابتداعه جمع القرآن وحرق المصاحف:**

غير أن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، لم يفعل ذلك إلا بعدما افترق الناس في القرآن، واختلفوا اختلافًا شديدًا؛ فقدم حُذيفة بن اليمان على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ؛فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى؛ فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك؛ فأرسلت بها حفصة إلى عثمان؛ فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف([1]).

فوحَّد عثمان بن عفان المسلمين على مصحف واحد وأمر بإحراق ما خالفه .

وبدا واضحًا موقف مرسل الخطاب المدافع عن هذا الأمر الذي عدَّه مدبرو الفتنة منكرًا ومظلمة أتى بها عثمان ، وذلك في قوله:" أما جمع القرآن؛ فتلك حسنته العظمى، وخصلته الكبرى، وإن كان وجدها كاملة؛ لكنه أظهرها ورد الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه([2])."

- **كما اتهموه، ظلمًا وبهتانًا، أنه أجلى أبا ذر إلى الربذة([3]).**

وجاءت هذه المسألة مفصلة خارج هذا النسق الخطابي، في صحيح البخاري وتحديدًا في كتاب(الزكاة):"عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة، فإذا أنا بأبي ذرٍ قلتُ: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: كنتُ بالشام فاختلفتُ أنا ومعاوية في الذين يكنزون الذهب والفضة، فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب وقلتُ أنا: نزلت فينا

[1]- العواصم من القواصم- ص٧٩-٨١

[2]- العواصم من القواصم- ص٨٠

[3]- العواصم من القواصم – ص٨٠.

وفيهم. وكان بيني وبينه في ذلك فكتب إلى عثمان يشكوني أني أتكلم في هذه المسائل وأثير الناس؛ فكتب إلي عثمان أن أقدِم إلى المدينة فقدِمتُها؛ فكثُر علي الناسُ حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك؛ فذكرتُ ذلك لعثمان؛ فقال عثمان: إنْ شئت تنحيْتَ فكنت قريبًا ؛فذاك الذي أنزلني ذاك المنزل، ولو أمَّروا عليّ حبشيًّا لسمعْتُ إذًا وأطعْتُ([1]).فعثمان بن عفان إذن لم يطرد أبا ذرٍ إلى الربذة؛ولم يرسله معاوية مهانًا من الشام إلى المدينة، وكل هذا من الكذب عليهم...بل قد ورد أنه لما خرج إلى الربذة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول:" إذا بلغ البناء سلعًا فاخرج منها([2])." فهو أمرٌ من نبي الله ﷺ أنه قال:" رحِم اللهُ أبا ذرٍ، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث يوم القيامة وحده([3])."

- **كما أخذوا عليه الزيادة في الحمى([4]):**

فقد كان للرسول ﷺ حِمى؛ فقال:" إنما الحِمى حِمى الله ورسوله([5])."

" وقد وضع عمر حِمى لإبل الصدقة، وضع لها أرضًا خاصة لا يرعى فيها إلا إبل الصدقة؛ حتى تسمن ويستفيد منها الناس؛ فلما جاء عثمان وكثُرت الصدقات، وسَّع هذا الحمى؛ فنقموا عليه ذلك حتى قيل له: أرأيت ما حميْتَ من الحمى، آلله أذِن لك أم على الله تفتري؟ فقال عثمان، رضي الله عنه، إنَّ عمر حمى الحِمى قبْلي لإبل الصدقة، فلمّا وليْتُ زادت إبلُ الصدقة فزدْتُ في الحمى([6])."

- **كما أخذوا عليه الإتمام في السفر([7]):**

---

[1]- البخاري- صحيح البخاري (٥٠٩/٢) ٣٠- كتاب الزكاة، ٤ - باب: ما أدي زكاته فليس بكنز، رقم (١٣٤١)

[2]- الحاكم، المستدرك (٣٨٧/٣) عن أبي ذر أحمد بن كامل بن خلف القاضي، عن أبي قلابة بن الرقاشي، عن سعيد بن عامر،عن عامر عن حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصامت، بلفظ قريب، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي

[3]- الحاكم، المستدرك (٥٢/٣) عن أبي العباس محمد بن يعقوب، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: عن يزيد بن سفيان، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، وقال الذهبي: فيه إرسال

[4]- العواصم من القواصم – ص٨٠

[5]- البخاري، صحيح البخاري، (٨٣٥/٢)، ٤٧ - كتاب المساقاة، ١٢ - باب: لا حمى إلا لله ولرسوله ﷺ، رقم (٢٢٤١)، بلفظ قريب

[6]- ابن حبان، صحيح ابن حبان، (١٨٣/٤) عن محمد بن إسحاق بن إبراهيم، عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن عثمان بلفظ قريب

[7]- العواصم من القواصم- ص٨١

فقد صلَّى الرسول ﷺ في السفر ركعتين وصلى أبوبكر في السفر ركعتين، وصلى عمر في السفر ركعتين ،وصلى عثمان صدرًا من خلافته في السفر ركعتين ثم أتمَّ في السفر.، ويتساءل صاحب كتاب حقبة من التاريخ مستنكرًا:" وهل هذا الأمرُ يُبيحُ دم عثمان؟ ومن المعصوم غير رسول الله ﷺ([1]) "مقررًا أن هناك خلافًا في هذه المسألة بين أهل العلم، وأكثر أهل العلم على أن القصر في الصلاة سنة مستحبة؛ فعثمان ترك المستحب وفعل الجائز.([2])، ويرجع إتمام عثمان بن عفان في السفر إلى أمرين:

- أنه تأهل، أي تزوج، في مكة فكان يرى أنه في بلده ولذلك أتمَّ هناك.
- إنه خَشِي أن يُفْتن الأعراب ويرجعوا إلى بلادهم ؛فيقصرون الصلاة هناك ؛ فلذلك أتمَّ([3]).
- **كما أخذوا عليه أنه لم يحضر بدرًا وفرَّ يوم أحد وغاب عن بيعة الرضوان([4]).**

ذكر ابن العربي،رحمه الله، ما أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة:" من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب، قال: جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قومًا جلوسًا؛ فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر؛ إني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهده وتغيب عن بيعة الرضوان؟ قال: نعم. قال: الله أكبر! قال ابن عمر: تعالى أبين لك.أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. قال تعالى: " **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)**"[5]وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة ؛ فقال له رسول الله ﷺ:" إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه" وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه؛ فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان

[1]- حقبة من التاريخ- ص١٤٩-١٥٠
[2]- حقبة من التاريخ- ص١٤٩-١٥٠
[3]- حقبة من التاريخ- ص١٥٠
[4]- العواصم من القواصم – ص٧٧
[5]آل عمران: ١٥٥.

إلى مكة؛ فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى" هذه يد عثمان" فضرب بها على يده فقال:" هذه لعثمان" ثم قال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك([1]).وغير ذلك كثير من المظالم والمناكير التي ألفقوها بعثمان بن عفان، ظلمًا وبهتانًا، ولعل في تكرار(النفي) في قول ابن العربي، رحمه الله،" ما نصب حربًا ولا جيَّشَ عسكرًا ولا سعى إلى فتنة ولا دعا إلى بدعة، ولا حاربه ولا نازعه من هو من أضرابه ولا أشكاله ولا كان يرجوها لنفسه.([2])" ما يوضح موقف ابن العربي من هذه المظالم والمناكير التي يرفضها جملة وتفصيلا.

فقد كان، رضي الله عنه وأرضاه، أشد خلق الله كرهًا للفتنة وحرصًا على تضييق دائرتها، حقنًا لدماء المسلمين، ولو أدى ذلك به إلى أن يكون هو ضحية لغيره، ولم يكن يرجو الخلافة لنفسه إنما أتته منقادة على غير تشوف منه إليها([3]).وهو ما أكده ابن تيمية في منهاج السنة بقوله:" إن الصحابة اجتمعوا على عثمان، رضي الله عنه، لأن ولايته كانت أعظم مصلحة وأقل مفسدة من ولاية غيره...، ولا ريب أن الستة الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ– أي الذين عينهم عمر– لا يوجد أفضل منهم، وإن كان في كل منهم ما كرهه فإن غيرهم يكون فيه من المكروه أعظم، ولهذا لم يتول بعد عثمان خير منه ولا أحسن سيرة([4])"

فقد كان، رضي الله عنه، أفضل أصحاب رسول الله ﷺ بعد أبي بكر وعمر، لحديث ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: "ما كنَّا نعْدِل بعد رسول الله ﷺ بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك بقيَّة أصحاب رسول الله ﷺ لا نفاضلُ بينهم([5])" وقال عبد الله بن مسعود عن بيعة عثمان: ولينا أعلاها ذا فوق([6])"

[1]- البخاري، صحيح البخاري(١٣٥٢/٣)، ٦٦ - كتاب فضائل الصحابة، ٧ - باب: مناقب عثمان بن عفان، رقم (٣٤٩٥)

[2]- العواصم من القواصم- ص٧٢-٧٣

[3]- محب الدين الخطيب- هامش كتاب العواصم من القواصم- ص

[4]- ابن تيمية- منهاج السنة- ص

[5]- البخاري، صحيح البخاري(١٣٥٢/٣)، ٦٦ - كتاب فضائل الصحابة، ٧ - باب: مناقب عثمان بن عفان، رقم (٣٤٩٤) بلفظ قريب

[6]- السنة للخلال – ص٣٢٠

نستخلص مما سبق أن هذه الرؤية البحثية لسيمياء الإشاريات الخطابية قد كشفت عن تصور مغاير لما درج عليه الباحثون ينهض على السعة الدلالية والوظيفية للإشاريات؛ إذ لم تقتصر هنا على الإحالة إلى زمان أو مكان أو شخوص إنما أحالت إلى عبارات خطابية وعلامات لسانية داخل هذا النسق الخطابي أو خارجه مما يناظرها دلاليًّا ، كما أن الإشاريات هنا ليست منبهمة؛ لتتضح دلالاتها بالإحالة وإنما زادتها الإحالة وضوحًا ودعمت مدلولتها الكامنة العميقة المراد إيصالها إلى المتلقي؛ فأحالت إلى بواطن نفسية منفعلة واضطرابات عقلية نجمت عن صدمة نفسية مروعة للمسلمين كافة تزامنت مع وفاة رسول الله ؛ فكانت تلك حالهم المضطربة التي كشفت عنها العلامات اللسانية التعبيرية (أما عمر فأهجر)، (أما عثمان فسكت)،(واضطربت الحال)،(أنكرنا قلوبنا)،(انقطعت قلوب الجيش)،فضلا عن وصف أم المؤمنين حالها وحال أصحاب محمد ﷺ وقتذاك . كما لم تخلو سيمياء الإشاريات من البعد الاجتماعي التواصلي الذي دعم موقف منتج الخطاب من قضاياه الخطابية:قبولا أو رفضا ؛ وفقًا لما يقتضيه المعطى التداولي الذي يقضي بضرورة النظر إلى العلامات اللسانية من زوايا علاقاتها بمستعمليها؛ فكشف منتج هذا الخطاب عن موقفه الرافض بشدة من المظالم والمناكير التي نسبها هؤلاء المضللون الفسدة الظالمون إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه،بغية إيصال هذا الموقف إلى متلقيه ؛ فحرص كل الحرص على تأكيده بعلامات لسانية متنوعة تؤكده وتدعمه وتعززه ، كما في تكرار النفي في جملة واحدة:" ما نصب حربًا ولا جيَّشَ عسكرًا ولا سعى إلى فتنة ولا دعا إلى بدعة، ولا حاربه ولا نازعه من هو من أضرابه ولا أشكاله ولا كان يرجوها لنفسه.([1])"، وعلامات لسانية أخرى تؤكد ذلك، مثل:"هذا كله باطل سندًا ومتنًا" وغير ذلك كما مرَّ سلفا.

المبحث الثالث: سيمياء الأفعال التأثيرية الإقناعية:

حفل النسيج الخطابي عند ابن العربي، رحمه الله، بالأفعال الكلامية غير المباشرة تلك التي يقصد من ورائها توجيهًا لمتلقيه، أو إخبارًا، أو وعدًا، وغير ذلك من المقاصد التي أومأ إليها البحث في مستهله والتي امتدت دلاليًّا من العنوان إلى متن الخطاب،

[1]- العواصم من القواصم- ص٧٢-٧٣

وارتدت دلاليًّا من متنه إلى عنوانه- كما سبق تبيانه- غير أن ابن العربي لم يصرح بتأثير تلك الأفعال الكلامية في شخوص الحدث الكلامي إلا في مواطن معدودة من كتابه؛ الأمر الذي دعاني إلى الوقوف إزائها لإبرازها للقارىء وإلقاء الضوء على دورها الخطابي الإقناعي؛ فكل خطاب يحمل في طياته شحنة حجاجية ترمي إلى إقناع المتلقي بقضية ما. والأفعال التأثيرية يُقصد بها ردة فعل شخوص الحدث الكلامي إزاء قضية ما أو حدث بعينه، اقتناعًا، أو خضوعًا، وانقيادًا وإذعانًا، أو غضبًا، أو سعادة، أو غير ذلك مما يؤثر في نفس شخوص الحدث الكلامي.

ومن العلامات اللسانية التي تومىء إلى ذلك الفعل التأثيري الإقناعي في خطاب الصديق للأنصار ما أورده ابن العربي بقوله:" فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه، وبايعوا أبا بكر الصديق، رضي الله عنه([1])" فهذان الفعلان التأثيريان- الانقياد والمبايعة- الناجمان عن أحداث يوم السقيفة أو (سقيفة بني ساعدة) تلك الأحداث التي لا ينكر أحد أهميتها وتأثيرها في التاريخ السياسي للإسلام والمسلمين، قد نشأت على إثرها نظرية الخلافة لدى المسلمين، كما مثلت اللقاء السياسي الأول للمسلمين(مهاجريهم وأنصارهم) عقب وفاة النبي ﷺ ونفوس المسلمين وقتذاك محتقنة ومتوترة ومضطربة وقلقة؛ خشية الفراغ السياسي الذي تمثل في غياب القيادة،" ومن الثابت تاريخيًّا أن رسول الله ﷺ لم يعين للمسلمين من يقوم بأمر الدولة الإسلامية بعد وفاته؛ بل لم يحدد رسول الله الطريقة التي تتبع في اختيار الحاكم بعده، وإنما أوضح الرسول القواعد العامة التي يجب أن يراعيها الحاكم في سيرته في المسلمين، وبيَّن- بسيرته وأقواله- المُثل العليا التي يجب التمسك بها والمحافظة عليها من جانب الحاكم والمحكومين على السواء([2])" فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ذلك المكان الذي اعتادوا فيه التشاور في أمورهم العامة؛ ليختاروا رئيسًا للدولة الإسلامية؛ فليس ثمة اجتماع سري أو مغلق يخفوه عن إخوانهم

[1]- العواصم من القواصم- ص٦٢

[2]- العوا، محمد سليم- في النظام السياسي للدولة الإسلامية-ط٢- دار الشروق- القاهرة٢٠٠٦م- ص٦٤- ، ويفسر الدكتور محمد العوا ذلك تفسيرًا هو أقرب إلى روح الشريعة الإسلامية وما تتسم به من المرونة التي تجعلها صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان؛ فيقول:"لو فرضنا أن الرسول ﷺ وضع نظامًا محدد التفاصيل للحكم أو حدد شخص الخليفة بعده أو قرر طريقة واحدة لاختياره، فإن ذلك كان سيلائم بلا ريب الأمة الإسلامية عقب وفاة الرسول وعلى الأرجح لعدة أجيال تلي وفاته- إلا أنه من غير المسلم به أن يستمر نظام واحد مطبقًا على جميع الأجيال الإسلامية في كل البلدان التي دخلها الإسلام ويبقى قابلا للتطبيق مع اختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما يتحكم في النظام السياسي ويؤثر فيه، ومن ثم ترك الرسول هذا الأمر...." – نفسه ص٦٤-٦٥

المهاجرين، وفي هذا الاجتماع وقع اختيارهم على(سعد بن عبادة) زعيمهم الذي رأوا أحقيته برئاسة المسلمين وكان قد خطب فيهم خطبته(١) التي حاول فيها إقناعهم بضرورة استبدادهم بهذا الأمر؛ فهو حق لهم عمن سواهم؛ وذلك لموقفهم المشرّف من الدين الجديد ونصرة نبيهم في الوقت الذي خذله أكثر العرب،" وهذا الموقف في المنطق السياسي سليم، لا يرى فيه المنصف عوجًا ولا أمتا، ولكن رئاسة الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ليست أمرًا سياسيًّا محضًا، وإنما هي أمر ديني سياسي(٢)"

"فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي ، وأصبت في القول، ولن نعدوا ما رأيت نوليك هذا الأمر، وأتى عمر الخبر،فأقبل إلى أبي بكر ؛ فقال أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة، وأحسنهم مقالة من يقول: منا أمير ومن قريش أمير؛ فمضيا مسرعين نحوهم، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا إليهم ثلاثتهم؛ فجاءوا وهم مجتمعون؛ فقال عمر: أتيناهم وقد كنت زوت كلاما أردت أن أقوم به فيهم؛ فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتديء المنطق؛ فقال لي أبو بكر: رويدًا حتى أتكلم ثم انطق بعد بما أحببت؛ فنطق. فقال عمر: فما شيء كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه.(٣)"

يقول أبو بكر بن العربي:"...فقال أبو بكر كلامًا كثيرًا مصيبًا، يكثر ويصيب، منه:نحن الأمراء وأنتم الوزراء.أن رسول الله ﷺ قال:"الأئمة من قريش" وقال:" أوصيكم بالأنصار خيرًا: أن تقبلوا من محسنهم، وتتجاوزوا عن مسيئهم" أن الله سمَّانا الصادقين وسماكم المفلحين. وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**

١- نص خطبة(سعد بن عبادة) زعيم الأنصار قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:" يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب، إن محمدًا عليه الصلاة والسلام لبث عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان؛ فما آمن به من قومه إلا رجل قليل، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ﷺ، ولا يعزوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيمًا عموا به، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة؛ فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه؛ فكنتم أشد الناس على عدوه من غيركم، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعًا وكرهًا، وأعطي البعيد المقادة صاغرًا داخرًا حتى أثخن الله عزوجل لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ، وبكم قرير عين، استبدوا بهذا الأمر دون الناس؛ فإنه لكم دون الناس" – ينظر: صفوت،أحمد زكي- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة-ط١- المكتبة العلمية- بيروت- لبنان- د.ت- ١٧٣/١-١٧٤

٢- القاسمي، ظافر- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي(الكتاب الأول الحياة الدستورية)-ط١- دار النفائس- د.ت- ص١٢٤

٣- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة- ١٧٤/١

وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)" إلى غير ذلك من الأقوال المصيبة والأدلة القوية. فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه، وبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه.([1])"

تكلم الصديق، رضي الله عنه، وقد حاز فصاحة القول وبلاغته مؤثرًا في نفوس أنصار رسول الله ﷺ ذلك التأثير الذي لم ينشأ من فراغ وإنما نجم عن عملية حجاجية إقناعية تأثيرية دارت بين بين شخوص الحدث الكلامي تلك العملية المكتملة عناصرها السياقية ، " فمعتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين والوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية والزمنية، والعلاقات الاجتماعية بين الأطراف هي أهم ما تركز عليه التداولية([2])"

- عناصر السياق في العملية التخاطبية:

المرسِل	المستقبِل	الزمان	المكان	المقصد الخطابي
أبو بكر الصديق	جمهور الأنصار ونفر قليل من المهاجرين	عقب وفاة النبي ﷺ	سقيفة بني ساعدة	إقناع الأنصار بأحقية المهاجرين بالخلافة

جاءت لغة الصديق، رضي الله عنه، وقد وُظفت فيها مجموعة من الحجج ؛ في سبيل تحقيق مقصده ، جاء ترتيبها ؛ وفقًا لما يسمى بالسلالم الحجاجية ترتيبًا عموديًّا؛ فالسلم الحجاجي:" ينطوي على علاقة ترتيبية للحجج([3])." وهذه الحجج التي ترتب بعضها على بعض مكنته، رضي الله عنه، من التأثير في نفوس أنصار رسول الله، وإقناعهم، رضي الله عن جميعهم، بأحقية المهاجرين في الخلافة وذلك على نحو تدرجي، كما يلي:

[1]- العواصم من القواصم – ص٦٢

[2]- فضل، صلاح- بلاغة الخطاب وعلم النص- عالم المعرفة- الكويت ١٩٩٢م- ص٩٩

[3]- العزاوي، أبو بكر- اللغة والحجاج- ط٢- العمدة للطبع ٢٠٠٦- ص١٦٦

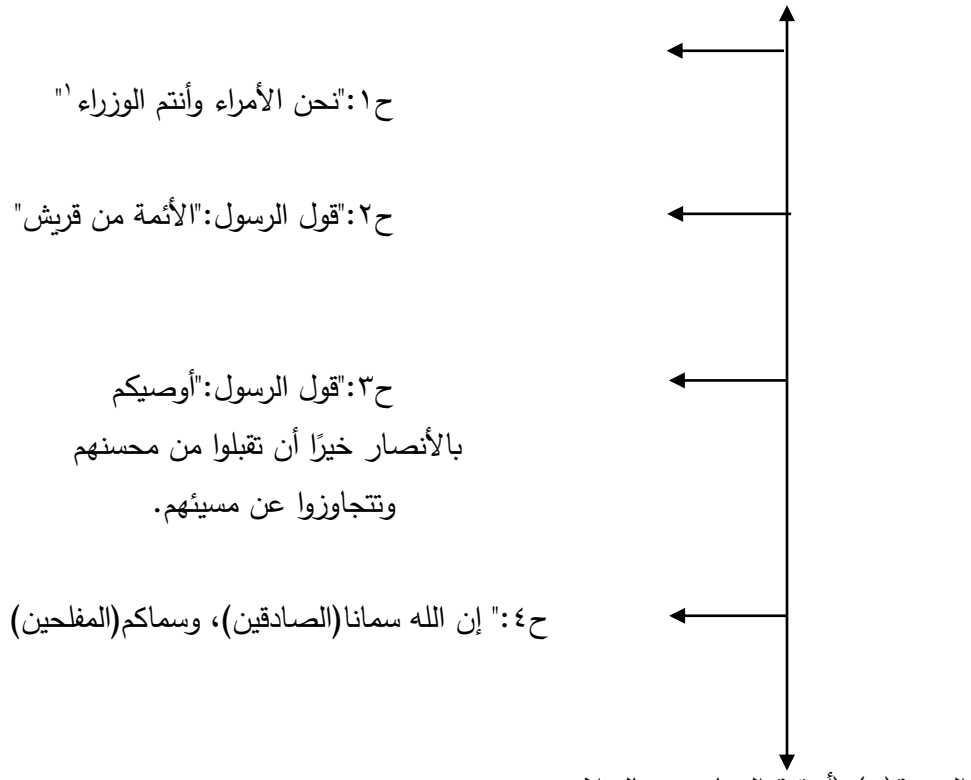

ح٥ : **وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا، فقال:"يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"**

فالملاحظ في الحجج الإقناعية التي ساقها الصديق، رضي الله عنه، التدرج السلميّ لها؛ ليصل إلى أقواها في نهاية سلّمه وقد اقتنع مخاطبه وأذعن وسلَّم لرأيه.

فبدأ بحجته الأولى(نحن الأمراء وأنتم الوزراء) التي تمثل المعطى الذي يود الصديق أن يبرهن على صحته ووجوبه؛ فذكرها تعقيبًا على قول أنصار رسول الله:(منَّا أمير ومنكم أمير)؛ فاستدلَّ على صحة حجته الأولى بحجة ثانية أقوى بالنسبة لطرفي العملية التخاطبية (المرسِل– المرسِل إليه) تمثلت في قول المصطفى ﷺ:" الأئمة من قريش([٢])"

[١]- العواصم من القواصم ص٦١-٦٢

[٢]-- البيهقي، سنن البيهقي- رقم الحديث١٦٣١٧- أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري أنبأ إسماعيل بن محمد الصغار، ثنا عباس بن محمد الدوري، ثنا الفيض بن الفضل البجلي، ثنا مسعر، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجذ، عن علي-رضي الله عنه- أن النبي(ص) قال:" الأئمة من قريش ولهم عليكم حق، ولكم مثل ذلك

التي أيّدت حجته الأولى ودعمتها؛ فهي حجة ثابتة بإجماع المسلمين(المهاجرين والأنصار) وثابتة في السنة الشريفة المطهرة بأسانيد صحيحة. ثم تأتي الحجة الثالثة مساوية للثانية في قوتها، ومرد قوتيهما أنهما صادرتان عن المصطفى ﷺ؛ إذ يعود الصديق مستدلًا بحديث للمصطفى؛ بغية تذكرتهم بمنزلة أنصار رسول الله ووصيته بهم وحثه المسلمين أن يقبلوا من محسنهم، ويصفحوا عن مسيئهم(١) فإقناعهم بالحجة التي يعلمونها جيدا يومىء إلى مهارة الصديق الخطابية وقدرته الحوارية الإقناعية التي حاول بها تأكيد مكانة الأنصار عند رسول الله ؛ فهم المواسون بالمال والنفس، والمؤثرون على أنفسهم والمجاهدون والمنفقون المبايعون له ﷺ بيعتي العقبة الأولى والثانية الذين استقبلوا هجرته إليهم مرحبين مبتهجين بقدومه ﷺ، ويؤكد أن الإمامة والخلافة التي قصرها المصطفى على قريش؛ فقد حباكم الله منزلة أعلى وأسمى، وهي حب المصطفى لكم ووصيته بكم واختياره شعبكم الذي تسلكوه(٢).فقد حظي الأنصار الأخيار بحب رسول الله وإيثارهم على غيرهم؛ فهم أحب الناس إلى نفسه الشريفة كما ورد في السنة المطهرة(٣) فهذه مكانة أعلى وأسمى من الإمامة وقد قصد الصديق أن يذكرهم بما نعموا به ومرد ذلك إلى حرصه الشديد على إقناع الأنصار وهم راضون ومسلّمون؛ فارتقى سلمه الحجاجي الإقناعي درجة أخرى أقوى في حجتها وأدعى للتسليم والإذعان؛ فذكرهم بفضل الله عليهما جميعا(المهاجرين والأنصار) قائلا:" إن الله سمّانا الصادقين وسمّاكم المفلحين(٤)" ؛مشيرًا، رضي الله عنه، إلى قوله تعالى: " **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**

ما اسْتُرحِموا رحموا وإن استحكموا عدلوا، وإن عاهدوا وفوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منهم صرف ولا عدل" ١٤٣/٨

١- المصنف- كتاب في فضائل الأنصار ٥٤١/٧

٢- حدثنا ابن إدريس عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ:" لو سلك الناس واديا وشِعبا وسلكتم واديًا وشِعبا لسلكت واديكم وشِعبكم، أنتم شِعار والناس دثار، ولولا الهجرة كنت امرأ من الأنصار، ثم رفع يديه حتى أني لأرى بياض إبطيه ما تحت منكبيه؛ فقال: اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار" ينظر- مسند الإمام أحمد بن حنبل- دار إحياء التراث العربي١٩٩٣م- ٣١٥/٢- ينظر أيضا المصنف: كتاب في فضائل الأنصار- ٥٤١/٧

٣-حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه ، قال: رأى النبي ﷺ النساء والصبيان من الأنصار مقبلين قال حسبت أنه قال من عرس؛ فقام النبي ﷺ ممثلا؛ فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إلي قالها ثلاث مرار" – ينظر: صحيح البخاري- كتاب مناقب الأنصار- باب قول النبي: أنتم أحب الناس إلي- ٣٧٩/٣- رقم الحديث ٣٥٧٤- دار ابن كثير للطباعة ١٩٩٣م

٤- العواصم من القواصم- ص٦٣

(٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)"[١]

فالمهاجرون تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم وأوطانهم حبا ومرضاة لله ولرسوله والأنصار محبون لهم ومكرموهم ولا يحسدونهم على ما خصوا به من مال الفيء وغيره بل كانوا قانعين راضين مؤثرين على أنفسهم ولوكان بهم حاجة أو فاقة؛ ويرجع ذلك إلى حبهم الشديد للرسول ولصحابته من المهاجرين.

ثم يختم حججه، رضي الله عنه، بأعلاها وأقواها على الإطلاق وهي مبنية على سابقتها؛ مذكرًا إياهم بأمر الله عز وجل أن يكونوا دوما مع المهاجرين الصادقين، قائلا:" وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال:" يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين(٢)" فالصادقون هم (المهاجرون) الذين سبق ذكرهم في الحجة الأولى التي ساقها الصديق، وهذه الحجة تأتي مدعمة ومعززة بأمر إلهي؛ فلا مناص من اتباع إخوانهم المهاجرين في عهودهم وشؤونهم كافة ؛ فما كان من الأنصار إلا الإذعان إلى أمر إخوانهم؛ " فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه، وبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه(٣)".

كما بدا واضحًا الفعل التأثيري الدال على (التصديق والإذعان)فيما أورده ابن العربي بقوله:" فذكر الصحابة ذلك(٤)" أي صدَّق الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، قول الصديق أبي بكر؛ إذ يقول لفاطمة وعلي والعباس: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة(٥)"

وقد ورد في صحاح كتب السنة شرح لرواية الحديث، أنَّ فاطِمَةَ عليها السَّلامُ بنْتَ النَّبيِّ ﷺ، أرْسَلَتْ إلى أبِي بَكْرٍ تَسْألُهُ مِيراثَها مِن رَسولِ اللَّهِ ﷺ ممَّا أفاءَ اللَّهُ عليه بالمَدِينَةِ،

---

[١] الحشر: ٨-٩.

[٢] - العواصم من القواصم- ص٦٢

[٣] - العواصم من القواصم- ص٦٣

[٤] - العواصم من القواصم- ص٦٥

[٥] - روي عن عائشة، رضي الله عنها، أنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، والعَبَّاسَ، أتَيَا أبَا بَكْرٍ يَلْتَمِسَانِ مِيرَاثَهُمَا، أرْضَهُ من فَدَكٍ، وسَهْمَهُ مِن خَيْبَرَ، فَقالَ أبو بَكْرٍ: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ، يقولُ: لا نُورَثُ ما تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إنَّما يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ في هذا المَالِ واللَّهِ لَقَرَابَةُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ أحَبُّ إلَيَّ أنْ أصِلَ مِن قَرَابَتِي. صحيح البخاري- رقم الحديث٣٥٠٤ – وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل- رقم الحديث١٦٥٨: حدثنا سفيان عن عمرو، عن الزُّهري عن مالك بن أوْس، سمعت عمر يقول لعبد الرحمن، وطلحة، والزبير وسعد: نشدتكم بالله الذي تقوم به السماء والأرض- وقال مرة: الذي بإذنه تقوم السماء والأرض- أعلمتم أن رسول الله ﷺ، قال:" إنَّا لا نُورِثُ، ما تركنا صدقة؟" قالوا: اللهم نعم" – ١٩٧/٣-١٩٨

وفَدَكٍ، وما بَقِيَ مِن خُمُسِ خَيْبَرَ، فقالَ أبو بَكْرٍ: إنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا صَدَقَةٌ، إنَّما يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ -ﷺ- في هذا المالِ، وإنِّي واللَّهِ لا أُغَيِّرُ شيئًا مِن صَدَقَةِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ عن حالِها الَّتي كانَ عليها في عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، ولَأَعْمَلَنَّ فيها بما عَمِلَ به رَسولُ اللَّهِ ﷺ. فأبَى أبو بَكْرٍ أنْ يَدْفَعَ إلى فاطِمَةَ مِنْها شيئًا، فَوَجَدَتْ فاطِمَةُ علَى أبِي بَكْرٍ في ذلكَ، فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حتَّى تُوُفِّيَتْ، وعاشَتْ بَعْدَ النَّبيِّ ﷺ سِتَّةَ أشْهُرٍ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَها زَوْجُها عَلِيٌّ لَيْلًا، ولَمْ يُؤْذِنْ بها أبا بَكْرٍ وصَلَّى عليها، وكانَ لِعَلِيٍّ مِنَ النَّاسِ وَجْهٌ حَياةَ فاطِمَةَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتِ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ وُجُوهَ النَّاسِ، فالْتَمَسَ مُصالَحَةَ أبِي بَكْرٍ ومُبايَعَتَهُ، ولَمْ يَكُنْ يُبايِعُ تِلكَ الأشْهُرَ، فأرْسَلَ إلى أبِي بَكْرٍ: أنِ ائْتِنا، ولا يَأْتِنا أحَدٌ معكَ؛ كَراهيةً لِمَحْضَرِ عُمَرَ، فقالَ عُمَرُ: لا واللَّهِ لا تَدْخُلُ عليهم وحْدَكَ، فقالَ أبو بَكْرٍ: وما عَسَيْتَهُمْ أنْ يَفْعَلُوا بي؟! واللَّهِ لَآتِيَنَّهُمْ، فَدَخَلَ عليهم أبو بَكْرٍ، فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ، فقالَ: إنَّا قدْ عَرَفْنا فَضْلَكَ وما أعْطاكَ اللَّهُ، ولَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا ساقَهُ اللَّهُ إلَيْكَ، ولَكِنَّكَ اسْتَبْدَدْتَ علَيْنا بالأمْرِ، وكُنَّا نَرَى لِقَرابَتِنا مِن رَسولِ اللَّهِ ﷺ نَصِيبًا. حتَّى فاضَتْ عَيْنَا أبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ قالَ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لَقَرابَةُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ أحَبُّ إلَيَّ أنْ أصِلَ مِن قَرابَتِي، وأَمَّا الذي شَجَرَ بَيْنِي وبيْنَكُمْ مِن هذِه الأمْوالِ، فَلَمْ آلُ فيها عَنِ الخَيْرِ، ولَمْ أتْرُكْ أمْرًا رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُهُ فيها إلَّا صَنَعْتُهُ، فقالَ عَلِيٌّ لأبِي بَكْرٍ: مَوْعِدُكَ العَشِيَّةَ لِلْبَيْعَةِ، فَلَمَّا صَلَّى أبو بَكْرٍ الظُّهْرَ رَقِيَ علَى المِنْبَرِ، فَتَشَهَّدَ، وذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ وتَخَلُّفَهُ عَنِ البَيْعَةِ، وعُذْرَهُ بالَّذِي اعْتَذَرَ إلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وتَشَهَّدَ عَلِيٌّ، فَعَظَّمَ حَقَّ أبِي بَكْرٍ، وحَدَّثَ: أنَّه لَمْ يَحْمِلْهُ علَى الذي صَنَعَ نَفاسَةً علَى أبِي بَكْرٍ، ولا إنْكارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ به، ولَكِنَّا نَرَى لنا في هذا الأمْرِ نَصِيبًا، فاسْتَبَدَّ عَلَيْنا، فَوَجَدْنا في أنْفُسِنا. فَسُرَّ بذلكَ المُسْلِمُونَ، وقالوا: أصَبْتَ، وكانَ المُسْلِمُونَ إلى عَلِيٍّ قَرِيبًا حِينَ راجَعَ الأمْرَ المَعْرُوفَ.

كما ظهر جليًّا فعل(انشراح الصدر) ذلك الفعل التأثيري الذي وسمه ابن العربي بالعلامة اللسانية من قول زيد بن ثابت:"فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر؛ فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال([1])" وجاء نص هذه المحاورة الثرية الحجاجية الإقناعية بين الصديق وعمر بن الخطاب وزيد

[1]- العواصم من القواصم- ص٨٣

بن ثابت ، رضي الله عنهم أجمعين، تؤكد التزام الصحابة بمبدأ الشورى الذي أقره ديننا الحنيف في كل أمر ديني أو دنيوي استجد بعد عهد النبي ﷺ.وذكر ابن العربي نصها على النحو الآتي:"روى الأئمة بأجمعهم أن زيد بن ثابت قال : أَرْسَلَ إِلَيَّ أبو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ، قالَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: إنَّ عُمَرَ أتَانِي فَقالَ: إنَّ القَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَومَ اليَمَامَةِ بقُرَّاءِ القُرْآنِ، وإنِّي أخْشَى أنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بالقُرَّاءِ بالمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وإنِّي أرَى أنْ تَأْمُرَ بجَمْعِ القُرْآنِ، قُلتُ لِعُمَرَ: كيفَ تَفْعَلُ شيئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قالَ عُمَرُ: هذا واللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لذلكَ، ورَأَيْتُ في ذلكَ الذي رَأَى عُمَرُ، قالَ زَيْدٌ: قالَ أبو بَكْرٍ: إنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لا نَتَّهِمُكَ، وقدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَوَاللَّهِ لو كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ ما كانَ أثْقَلَ عَلَيَّ ممَّا أمَرَنِي به مِن جَمْعِ القُرْآنِ، قُلتُ: كيفَ تَفْعَلُونَ شيئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ؟، قالَ: هو واللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أبو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ له صَدْرَ أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ واللِّخَافِ، وصُدُورِ الرِّجَالِ، حتَّى وجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مع أبِي خُزَيْمَةَ الأنْصَارِيِّ لَمْ أجِدْهَا مع أحَدٍ غيرِهِ، "**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)**" حتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أبِي بَكْرٍ حتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه([1])".

أسفرت هذه المحاورة التي دارت بين الصحابة الكرام، الذين على أيديهم مضى وعد الله في حفظ كتابه الكريم ،عن التأثير في زيد بن ثابت،رضي الله عنه، وإقناعه بتحمل هذه المهمة؛فكانت العناصر السياقية للمحاورة على النحو الآتي:

[1]- العواصم من القواصم- ص١٨-٨٣- صحيح البخاري- رقم:٤٩٨٦- الراوي: زيد بن ثابت- خلاصة حكم المحدث(صحيح)

أطراف المحاورة	زمان المحاورة	مكان المحاورة	الغرض من المحاورة	نتيجة المحاورة
أبو بكر الصديق– عمر بن الخطاب– زيد بن ثابت	**أَيَّامَ مَقْتَلِ أَهْلِ اليَمامةِ، وهي الحَربُ التي كانت بيْنَ المُسلِمينَ وبيْنَ مُسيلِمةَ الكذَّابِ –لَعَنَه اللهُ– الذي ادَّعى النبُوَّةَ، وقَوِيَ أمرُه بعد وفاةِ رَسولِ اللهِ ﷺ.**	عند أبي بكر الصديق، رضي الله عنه.	التأثير في زيد بن ثابت ومحاولة إقناعه بجمع القرآن؛لحفظه من التبديل والتحريف.	تكليف زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم

وقد ساق الصديق الحجج التي تؤكد أهلية زيد بن ثابت لهذه المهمة، وذلك على نحو تدرجي كما يلي:

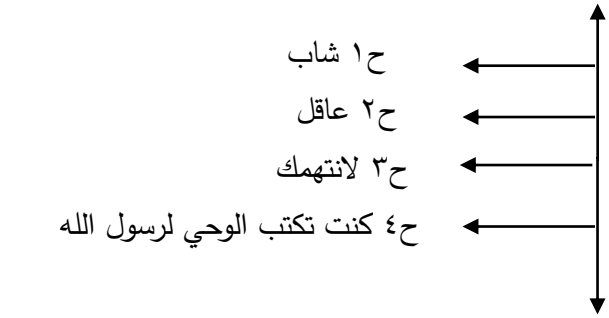

ن:تكليف زيد بن ثابت بجمع القرآن

خشي زيد بن ثابت،رضي الله عنه، أن يخالف رسول الله ﷺ ويبتدع شيئًا لم يفعله رسول الله إذا ما قام بجمع القرآن ،كما أشار عليه خليفتا رسول الله، غير أن الصديق،رضي الله عنه، الذي شرح الله صدره لهذه الفكرة التي أثارها عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قبل زيد بن ثابت ، قد آثر أن يقنع زيدًا بالفكرة نفسها بنفسه وليس عن طريق صاحب الفكرة (عمر بن الخطاب) ؛فذلك أدعى لإقناع زيد الذي يعلم كما يعلم

الصحابة جميعهم أن الصديق ،رضي الله عنه، أكثرهم حرصًا على السير على نهج النبي ﷺ وأكثرهم حفاظا على سنته وبعدًا عن كل ما يبعدهم عنها ؛ فليس ثمة ابتداع في الأمر. فذكر له أبو بكر الصديق ما أخبره به عمر بن الخطاب من أن القتل استحرَّ في حفظة القرآن الكريم (يوم اليمامة) فلو قمنا بجمع القرآن لهو أمر خير للإسلام والمسلمين وكلفاه ، رضي الله عنهما، بتتبع القرآن من صدور الرجال، وما كُتِب مُفرقًا؛ ليكتبه في مصحف جامع لكل السور والآيات التي أُنزِلت ؛ لما يتمتع به زيد بن ثابت ، رضي الله عنه، من خصال طيبة حميدة وخصوصيّات قلما اجتمعت في غيره؛فشرع الصديق،رضي الله عنه، يعدد صفات زيد بن ثابت تلك التي تؤهله لأداء هذه المهمة الثقيلة ويحاججه بها ؛ ليقنعه بهذه الفكرة المكلف بتنفيذها فبدأ سلمه الحجاجي ذاكرًا أولى صفاته بأنه(شاب) مشيرًا بذلك إلى قوته ونشاطه وكفاءته الواضحة في كل أمر يُسنَد إليه كما أنه يتمتع في هذه السن بذاكرة قوية تبعده عن النسيان الأمر الذي يرجح اختياره ويدعمه، ويرتقي الصديق سلمه الحجاجي الإقناعي درجة أخرى ذاكرًا صفة أخرى من صفاته وهي (عاقل) ؛ فهو يعي حجم المشكلة كما يعي المراد من وراء هذا التكليف وما فيه من خير للإسلام والمسلمين وما ينتظره من أجر عظيم بإذن الله.

وتأتي الحجة الثالثة حاملة وصفًا لما مضى من سيرته، رضي الله عنه، المعروفة عند المسلمين أجمعين فـ(لا يُتهم) بكذب ولا نسيان وهو أمر محمود فيمن وُكّل إليه هذه المهمة ، ثم يصل الصديق إلى أعلى سلمه الحجاجي درجة ؛ ليذكره بأن المهمة الموكلة إليه ليست عنه ببعيدة أو جديدة فقد(كتب الوحي لرسول الله) ؛فهو أكثرمن غيره مرانًا وخبرة في ذلك؛ فهذه الصفات الحميدة والخصوصيات الأربع التي انفرد بها ذلك الصحابي الجليل زيد بن ثابت، رضي الله عنه،دعت خليفتا رسول الله إلى اختياره وتكليفه بهذه المهمة واقتناعه بأدائها:" ، فَلَمْ يَزَلْ أبو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ له صَدْرَ أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا"

في ضوء العرض التحليلي السابق تبين أن الفعل التأثيري قد أولى شخوص الحدث الكلامي عناية واهتمامًا؛ فإليهم مآل الفعل التأثيري وهم عنصر مهم من عناصر السياق التواصلي ؛ فردود أفعالهم التي قد ينجم عنها انقياد أو مبايعة أو تصديق أو تكذيب أو إذعان أو غير ذلك من التأثرات النفسية ؛ تكشف عن إنجاح العملية التخاطبية

،التي تم لها ذلك بسبب قدرة المرسِل الخطابية وكفاءته الحوارية الإقناعية وقد تمتع بها الصديق، رضي الله عنه،؛ وما كان غيره يستطيع التأثير في متلقيه ويقنعه ولاسيما في هذه القضايا الشائكة ذات الأثر البالغ التي رسمت للمسلمين طريقهم في هذه الحقبة من التاريخ سواء في ذلك ما تم في أحداث السقيفة وبداية الخلافة الإسلامية ، أو ما أثير حول ميراث آل بيت النبي منه ، أو جمع القرآن الكريم بعد موقعة اليمامة أو إنفاذ بعث أسامة ، وغير ذلك من الأحداث التي تمثل منعطفات تاريخية مهمة لولا حكمة الصديق، رضي الله عنه، وقدرته الإقناعية التي وفقه الله إليها لولا ذلك ما عرفنا أي مآل كانت تؤول إليه أمور المسلمين؛ فقد تدرج في حجاجه شيئًا فشيئًا مراعيًا حال مخاطبه وحريصًا كل الحرص على الإدلاء بشواهده من القرآن الكريم و السنة المطهرة؛ حتى أذعن مخاطبه وسلَّم لأمره.

الخاتمة:

أسفر هذا الوصف التحليلي عن مجموعة من النتائج، من أبرزها:

- **أفاد كتاب (العواصم من القواصم) لأبي بكر بن العربي(٥٤٣هـ) من الوظائف التواصلية التأثيرية للعلامة اللسانية ، وقدرتها الاستكشافية التي تتجاوز الحدود المعجمية إلى بواطن النفس البشرية وجميع مظاهر السلوك الإنساني ؛ فجاء منجزه التعبيري موجزًا وحاملًا كثافة مقاصدية لا حدَّ لامتدادها وتعد صيحة حق واجبة في وجه باطل أطلَّ برأسه؛ ليطعن في صحابة رسول الله ﷺ ، ويشوه صورتهم؛ فذبَّ عنهم بهذا الخطاب اللغوي الدفاعي المعضد بالأدلة النقلية والعقلية وصحيح الأخبار والآثار.**
- **كان للآثار العلمية لأبي بكر بن العربي ،والمنجزات الفقهية، على وجه التحديد كبير أثر في ذخيرته العلمية الثرية التي مكنته من الاستدلال والبرهنة بصحيح الأخبار والآثار على شبهات هؤلاء المدعين المفسدين المضللين تلك التي يقصدون من ورائها زعزعة ثقة المسلمين في شريعتهم الغراء، وفي حامليها وناقليها المبلغين عن نبيهم ﷺ.**
- فقد عكس العنوان بوصفه نسيجًا خطابيًّا موجزًا ،أفعالًا متضمنة في القول ، وبواطن مقاصدية عميقة كشفت عنها علاماته اللسانية وأقواله التعبيرية؛ فضلا

على بقية عناصره السياقية المحددة لدلالاته المقيدة لمقاصده؛ فلاحظنا ارتدادًا لدلالات بعض الأطر النصية القولية في متن هذا الخطاب الدفاعي تلك التي قصد من ورائها الدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ ،تصريحًا كان ذلك أو تلميحًا؛ فقد ارتدت الدلالات من المتن لتلتصق بالعنوان بوصفه جزءًا من بنياته ومستودعًا لدلالاته التي امتدت بدورها مرة أخرى في متن النص؛ ليشكلا معا(العنوان والمتن) الكل الخطابي الذي يكشف المقاصد المرادة من العلامة اللسانية التعبيرية.

- كشفت الرؤية البحثية لسيمياء الإشاريات الخطابية عن تصور مغاير لما درج عليه الباحثون ينهض على السعة الدلالية والوظيفية للإشاريات؛ إذ لم تقتصر هنا على الإحالة إلى زمان أو مكان أو شخوص إنما أحالت إلى عبارات خطابية وعلامات لسانية داخل هذا النسق الخطابي أو خارجه مما يناظرها دلاليًّا ، كما أن الإشاريات هنا ليست منبهمة؛ لتتضح دلالالتها بالإحالة وإنما زادتها الإحالة وضوحًا ودعمت مدلولتها الكامنة العميقة المراد إيصالها إلى المتلقي؛ فأحالت إلى بواطن نفسية منفعلة واضطرابات عقلية نجمت عن صدمة نفسية مروعة للمسلمين كافة تزامنت مع وفاة رسول الله ؛ فكانت تلك حالهم المضطربة التي كشفت عنها العلامات اللسانية التعبيرية (أما عمر فأهجر)، (أما عثمان فسكت)،(واضطربت الحال)،(أنكرنا قلوبنا)،(انقطعت قلوب الجيش)،فضلا عن وصف أم المؤمنين حالها وحال أصحاب محمد ﷺ وقتذاك . كما لم تخلو سيمياء الإشاريات من البعد الاجتماعي التواصلي الذي دعم موقف منتج الخطاب من قضاياه الخطابية:قبولا أو رفضا ؛ وفقًا لما يقتضيه المعطى التداولي الذي يقضي بضرورة النظر إلى العلامات اللسانية من زوايا علاقاتها بمستعمليها؛ فكشف منتج هذا الخطاب عن موقفه الرافض بشدة من المظالم والمناكير التي نسبها هؤلاء المضللون الفسدة الظالمون إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه،بغية إيصال هذا الموقف إلى متلقيه ؛ فحرص كل الحرص على تأكيده بعلامات لسانية متنوعة تؤكده وتدعمه وتعززه ، كما في تكرار النفي في جملة واحدة:" ما نصب حربًا ولا جيَّشَ عسكرًا ولا سعى إلى فتنة

ولا دعا إلى بدعة، ولا حاربه ولا نازعه من هو من أضرابه ولا أشكاله ولا كان يرجوها لنفسه.([1])"، وعلامات لسانية أخرى تؤكد ذلك، مثل:"هذا كله باطل سندًا ومتنًا" .

- أظهرت الدراسة أن الفعل التأثيري قد أولى شخوص الحدث الكلامي عناية واهتمامًا؛ فإليهم مآل الفعل التأثيري وهم عنصر مهم من عناصر السياق التواصلي ؛ فردود أفعالهم التي قد ينجم عنها انقياد أو مبايعة أو تصديق أو تكذيب أو إذعان أو غير ذلك من التأثرات النفسية ؛ تكشف عن إنجاح العملية التخاطبية ،التي تم لها ذلك بسبب قدرة المرسِل الخطابية وكفاءته الحوارية الإقناعية وقد تمتع بهما الصديق، رضي الله عنه،؛ وما كان غيره يستطيع التأثير في متلقيه ويقنعه ولاسيما في هذه القضايا الشائكة ذات الأثر البالغ التي رسمت للمسلمين طريقهم في هذه الحقبة من التاريخ سواء في ذلك ما تم في أحداث السقيفة وبداية الخلافة الإسلامية ، أو ما أثير حول ميراث آل بيت النبي منه ، أو جمع القرآن الكريم بعد موقعة اليمامة أو إنفاذ بعث أسامة ، وغير ذلك من الأحداث التي تمثل منعطفات تاريخية مهمة لولا حكمة الصديق، رضي الله عنه، وقدرته الإقناعية التي وفقه الله إليها لولا ذلك ما عرفنا أي مآل كانت تؤول إليه أمور المسلمين؛ فقد تدرج في حجاجه شيئًا فشيئًا مراعيًا حال مخاطبه وحريصًا كل الحرص على الإدلاء بشواهده من القرآن الكريم و السنة المطهرة؛ حتى أذعن مخاطبه وسلَّم لأمره.

[1] - العواصم من القواصم- ص٧٢-٧٣

التوصيات:

بعد هذا الوصف التحليلي الذي أظهر بوضوح دور العلامة اللسانية التواصلي والتأثيري في إتمام العملية التخاطبية بين شخوص الحدث الكلامي ؛ أوصي الباحثين أن يعيروها اهتماما وعناية ويجعلونها منطلقا للوصول إلى البنى العميقة للخطاب واستكشاف بواطنه.
وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد الهادي لأنوارك والجامع لأسرارك الدال عليك ، الموصل إليك وعلى آله هداة الإسلام، وأصحابه السادة الأعلام، وأزواجه الطاهرات الكرام.

قائمة المصادر والمراجع :

- **المصادر**

ابن العربي ، الإمام القاضي أبو بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ، تحقيق: الشيخ محب الدين الخطيب– علق عليه: محمود مهدي الاستانبولي– مركز السنة للبحث العلمي– ط٦ – مكتبة السنة لنشر العلم– القاهرة،١٤١٢هـ.

- **المراجع العربية:**

– ابن تيمية ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت٧٢٨هـ)، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، تحقيق/ عبد الرحمن بن أحمد الجميزي، ط١، دار العاصمة، الرياض ،١٤٣٤هـ.

– ابن حنبل ، أحمد ، مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط – عادل المرشد، وآخرون ، إشراف / د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة .

– ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت٣٩٥هـ)– مقاييس اللغة– دار الفكر العربي– القاهرة ١٩٧٩م.

– ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط – عادل المرشد – محمد كامل قره بللي ، عبد اللطيف حرز الله ، دار الرسالة العلمية ، ط ١ ، ١٤٣٠– ٢٠٠٩م.

– البُستي ، أبو حاتم محمد بن حيان بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤ هـ) ، صحيح ابن حيان : المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها ، تحقيق / محمد علي سونمز– خالص آي دمير ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

– البغدادي، الخطيب أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)– الكفاية في علم الرواية– تحقيق :أبو عبد الله السورقي، إبراهيم محمدي المدني– ط١– دائرة المعارف العثمانية – الدكن ١٣٥٧هـ.

– بلبع،عيد– التداولية إشكالية المفاهيم بين السياقين الغربي والعربي– مجلة سياقات– ع(١) –ط١– القاهرة ٢٠٠٧م .

– بلخير،عمر، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، مقالات في التداولية والخطاب– تيزي وزو– دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع– الجزائر، ٢٠١٣م.

– بلقندوز،هواري ، مدخل إلى السيميائيات التداولية– إسهامات بيرس وشارل موريس(أعمال الملتقى الثالث" السيمياء والنص الأدبي– جامعة مستغانم ٢٠٠٤م.

– بنكراد، سعيد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها– ط٣– دار الحوار – دمشق٢٠١٢م.

– البيهقي ، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ) ، السنن الكبرى ، تحقيق / محمد عبد القادرعطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

– الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩ هـ) ، سنن الترمذي ، تحقيق وتعليق / أحمد محمد شاكر (جـ ١،٢) ، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) ،و إبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م

– الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق (ت ٤٢٧ هـ) ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق / أ. نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي،ط١– بيروت – لبنان١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .

– الجعفي ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، تحقيق / د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير – دار اليمامة ، دمشق ، ط ٥ ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م .

– الخميس، عثمان بن محمد، حقبة من التاريخ:ما بين وفاة النبي ﷺ إلى مقتل الحسين رضي الله عنه(٦١هـ)– ط٣– دار الكتب المصرية،٢٠٠٦.

– الذهبي(شمس الدين أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، ط٣، مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م

– الزهري(محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبير، تحقيق / د. علي محمد عمر ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

– السهيلي، عبد الرحمن– الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام– تحقيق: عبد الرحمن الوكيل– دار الكتب الإسلامية.

– صفوت،أحمد زكي ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ط١، دارالمكتبة العلمية ، بيروت– لبنان– د.ت.

– الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ) ، المعجم الأوسط ، تحقيق / أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد – أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م .

– الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – دار التربية والتوزيع – مكة المكرمة .

– العزاوي، أبو بكر– اللغة والحجاج– ط٢– العمدة للطبع، ٢٠٠٦.

– العسقلاني،الحافظ ابن حجر(ت٨٥٢هـ) – الإصابة في تمييز الصحابة– ط١– دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ .

– العسكري،أبو هلال– الفروق في اللغة– تحقيق: جمال عبد الغني مدغمش– مؤسسة الرسالة– ط١– بيروت ٢٠٠٢م .

– علوش،سعيد، المقاربة التداولية– مركز الإنماء القومي– د.ت.

- العوا، محمد سليم- في النظام السياسي للدولة الإسلامية-ط٢- دار الشروق- القاهرة٢٠٠٦م.
- فضل، صلاح- بلاغة الخطاب وعلم النص- عالم المعرفة- الكويت ١٩٩٢م
- القاسمي، ظافر- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي(الكتاب الأول الحياة الدستورية)-ط١- دار النفائس- د.ت- ص١٢٤
- الكوفي ، أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (ت ٢٣٥ هـ) ، المصنف ، تحقيق / سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري ، تقديم / ناصربن عبد العزيز أبو حبيب الشثري ، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض – السعودية ، ط ١ ، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م
- المالقي، أبو الحسن بن عبد الله النباهي (ت٧٧٦هـ)- تاريخ قضاة الأندلس- تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي- ط٥- دار الآفاق الجديدة- بيروت١٩٨٣م .
- مزيد، بهاء الدين محمد- تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي- شمس للنشر والتوزيع-ط١- القاهرة ٢٠١٠م.
- النيسابوري ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ) ، صحيح مسلم ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت ، وغيرها ، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م .

المراجع المترجمة:

- أرمينكو،فرانسواز، المقاربة التداولية- ترجمة : سعيد علوش- مركز الإنماء القومي- الرباط- المغرب ،١٩٨٦.
- إيكو، أمبرتو- السيمياء وفلسفة اللغة- ترجمة: أحمد الصمعي- ط١- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت ٢٠٠٥م.
- بنفيست،إميل- أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، ترجمة:سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد- دار إلياس العصرية- القاهرة١٩٨٦م.
- جان كوهين- بنية اللغة الشعرية- ترجمة : محمد الولي ومحمد العمري- الدار البيضاء – المغرب ١٩٨٦م

– جيرو، بيار– علم الإشارة(السيميولوجيا)– ترجمة: منذر عياشي– ط١– دار طلاس– دمشق١٩٨٨م.

– دي سوسير، فرناند– محاضرات في علم اللسان العام– ترجمة : عبد القادر قنيني– ومراجعة: أحمد جيبي الدار البيضاء ١٩٨٧م .

– زوست،آرت فان– التأويل وعلم الرموز– ترجمة :أنطوان أبو زيد– مركز الإنماء القومي– مجلة العرب والفكر العالمي– ع٥– بيروت ١٩٨٩م– ص٥٢

المراجع الأجنبية :

- Armeng uaud: La pragmatique , Presse universitaire -dr France-paris-1985.